

أديان العرب ومعتقداتها
في
طبقات ابن سعد

امداد هالة الناشف

رسالة مقدمة الى الدائرة العربية في
الجامعة الأميركية في بيروت
للحصول على درجة ماجستير في الآداب

تشرين الثاني ١٩٧٢

157A

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

Thesis Title:

By

Hala Nashef

(Name of Student)

Approved: Profs.

Ihsan Abbas

Ihsan Abbas

Advisor

Antoine Karam

Antoine S. Karam

Member of Committee

Khalil Hawi

K. Hawi

Member of Committee

Nadeem Naimy

N. Naimy

Member of Committee

Sami Makarem

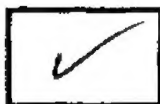
Sami N. Makarem

Date of Thesis Presentation: Nov. 24, 1972

" THESIS RELEASE FORM"

American University of Beirut

I, Hala Nashif :



authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals upon request.



do not authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals.

H. B. Nashif
Signature

Nov. ²⁴ 27 1972

Date

فهرس المحتويات

صفحة	مقدمة
١	الفصل الاول - معبودات الجاهليين
١	الله
٥	الاصنام والاشان والانصاب
٦	مادة المعبودات واشكالها
٨	اماكن عبادة الاصنام
٩	التسمية بالآلهة
.	اسماء الآلهة التي ذكرها ابن سعد
١٢	اساف
١٣	بوانة
١٤	ذو الخلصة
١٥	ذو الشرى
١٦	سواع
١٧	شمس
١٨	المزى
٢١	مم أنسى
٢٢	نرلفى
٢٢	الفلس
٢٢	ذو الكفين
٢٣	اللات
٢٤	مناف
٢٤	مناة

صفحة

٢٥	نائلة
٢٥	هبل
٢٧	ود
٢٧	يفوث

الفصل الثاني - الشعائر والمعتقدات والتقاليد

٣٢	الدينونة الدينية
٣٢	النذور والايمان
٣٤	الازلام
٣٨	التقدمك والنحر والقرايين والهدى
	بعض المعتقدات العامة
٤٤	الجهن
٤٦	العيانة والطرق والطيرة
٤٨	الرويا
٥٠	الشياطين
٥٠	البعث
٥١	التقاليد والممارسات الدينية الدينية
٥١	الموت وشعائر الدفن
٥٢	الوآد
٥٢	الزواج والطلاق
٥٣	التبني
٥٤	الاحتفال ببلوغ الصبوة والبنات
٥٥	التطهر بالاغتسال
٥٦	تعظيم الاشهر الحرم
٥٧	الحلف والعهد

٥١	الفصل الثالث - الحج الى الكعبة وشعائره
٦٥	شعائر الحج
	الفصل الرابع - الوظائف الدينية
٦٩	الكهانة
٧٢	الحجامة والسدانة
٧٥	وظائف خاصة بالحج
٧٥	الرفادة والمقايمة
٧٧	الدفع من مرفة ورمي الجمار والافاضة
٧٩	الفصل الخامس - الاديان الاخرى في الجزيرة قبل الاسلام
٧٩	اليهودية
٨١	النصرانية
٨٣	المجوس
٨٣	الحنيفية
٩٠	المراجع
	جدول بالاخبار التي ذكر ابن سعد
٨٢	ان ابن اسحاق وابن الكلبي من رواتها

مقدمة

ولد ابو عبدالله محمد بن سعد ، صاحب الطبقات الكبرى في البصرة ، وانتقل الى بغداد ، وتوفي فيها سنة مائتين وثلاثين . وقد لاقى الواقدي وروى عنه حتى عرف بكتاب الواقدي . وكان ثقة عالما بأخبار الصحابة والتابعين وله من الكتب كتاب أخبار النبي (صلعم) . وقيل أنه ألف كتبه من تصانيف الواقدي^(١) ، ولعله اعتمد في كتاب الطبقات الكبرى على طبقات استاذة .

وكتاب الطبقات لابن سعد عني بسيرة النبي وأجداده ، التي احتلت الجزأين الأولين من الكتاب ، وتراجم الصحابة والتابعين ، وقد شملت الاجزاء الخمسة التالية ، في حين ان الجزء الثامن ، وهو آخرها ، يشمل تراجم النساء .

وقد اعتمد ابن سعد في تقسيم طبقاته على عنصرين ، احدهما زمني والآخر مكاني^(٢) . وابتدأ بعد سيرة النبي بترجمة للبدرين

(١) ابن النديم - الفهرست - المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٣٤٨ هـ ، ص ١٤٥ .

(٢) انظر - ابن سعد - الطبقات الكبرى ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ، ١٣٨٠ هـ ، ١٩٦٠ م ، المقدمة للدكتور احسان عباس .

المهاجرين أولا ثم الأنصار . وبعد ذلك ترجم للصحابة ممن لم يشترك منهم
بيدر ، مبتدأ بالمهاجرين ، متما بالأنصار . ثم اعتمد العنصر المكاني
في تقسيم الصحابة والتابعين حسب الأمصار التي نزلوها . وفي كل طبقة
من الطبقات ، كان السابق الى الاسلام اسبق الى الظهور على صفحات
الكتاب . وفي الجزء المخصص للنساء ، اعتمد على قريبين للنبي أولا ، فترجم
لبناته ، ثم لعناته ، وبعده لبنات عميته ثم لأزواجه ، ومن بعد ذلك
انتقل الى التقسيم القبلي .

وهذا الكتاب الذي عرض فيه صاحبه سيرة النبي الكريم وترجم
فيه للصحابة والتابعين مصدر هام لمختلف المظاهر الاجتماعية والمعيشية ،
بدرجات متفاوتة من الكثرة او القلة ، في العصرين الاسلامي المبكر والجاهلي
المتأخر . وقد اعتمد الكيرون مصدرا مهما في ابحاثهم ، الا انه قلما
رجع اليه باحث في الشؤون الدينية في العصر الجاهلي ، وذلك لوجود
مصادر اخرى اهتمت اهتماما خاصا بهذا الباب ، فأفردت له فصولا ، كالمحبر
والمنق لابن حبيب ، وكالسيرة لابن هشام ، وأخرى قصرت بحثها على هذا
الموضوع كالاصنام لابن الكلبي . فكل كتاب الطبقات في البحوث التي تتعلق

بالدين والمعتقد في الجاهلية ان يظل مهملًا . فير ان ابن سعد لم يهمل
المعتقدات التي كانت سائدة قبل الاسلام . فقد عرض لبعض الشعائر والمعتقدات
الدينية والاحداث ذات الدلالة على المعتقد . ومع انه لم يذكر هذه الامور
لذاتها ، فانه أتى بأخبار لها أهميتها في هذه الناحية ، وان لم يلم بكل
شيء عن الديانات .

وقد جاءت الاخبار الدينية عن فترة الجاهلية مقتضبة تارة ، تكاد
في بعض الاحالات تقتصر على جملة واحدة ، وسهبة - نسبيا - تارة أخرى
اذ تمتد الى بضعة اسطر او اكثر . وما انها ذكرت عرضا ، فقد أتت
متفرقة على صفحات الكتاب ، يحتاج تتبعها الى قراءة الكتاب كله .

وقد جاءت هذه الاخبار بالنسبة الى طبيعة اسنادها على وجوه :
فمنها روايات مرسلة ، وهي قليلة نسبيا ، واغلبها يتناول المادة المشتركة
بين الطبقات وغيره من المصادر التي تعنى بهذه الناحية ، باستثناء خبر هدم
منارة الذي انفرد ابن سعد فيها ذكره عن طريقة هدمه (٣) . ولعل احاديثه

(٣) الطبقات ، مج ٢ ، ص ١٤٧ .

المرسلة التي استهلها بالكلمة " قالوا " ، كانت علما مشاعا لدى غالبية أهل ذلك الزمان ، كامتناع اليهود عن القتال في السبت الذي جاء ضمن الحديث عن فزوة الخندق ^(٤) ، وهي فزوة معروفة أخبارها ، ومنه كتابة العهد بين المسلمين والمشركون في صلح الحديبية ، وما جاء على لسان المشركون من معرفتهم الله وانكارهم الرحمن الرحيم ^(٥) . ومنه أيضا الاصنام التي كانت حول الكعبة حين الفتح وعددها وأسماء بعضها ^(٦) ، ثم السرايا الى هدم الاصنام ^(٧) .

ومنها أخبار وروايات مسندة يرجع بعضها الى ابن اسحاق وابن الكلبي ، كما يرتفع بعضها الآخر الى ابن عباس ، رواها عكرمة او رواها غيره . من تلك الاخبار أخذ بركة الصنم سواع واللجؤ الى لشفاء الشياه الجرباء ^(٨) ، ومنها الضرب بالقداح على الكنز الذي وجدته

-
- (٤) المصدر نفسه ، مج ٢ ، ص ٦٩ .
(٥) المصدر نفسه ، مج ٢ ، ص ١٠١ .
(٦) المصدر نفسه ، مج ٢ ، ص ١٢٧ .
(٧) المطبوع ٢٣ ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٦٤ وغيرها .
(٨) المصدر نفسه مج ١ ، ص ١٦٨ .

عبد المطلب حين حفر زمزم ، ومنها أيضا ما قاله اليهود لتبع حين أراد تخريب
يثرب ليعود أهلها الى حظيرة دين العرب (٩) .

ومن تلك الاخبار ما يعود الى الزهري والى عائشة وابي ذر وأبي
هريرة ، ومنها ما يتوقف فيه الاسناد عند صاحب العلاقة بالخبر ، كخبر
الغميصاء ، وما قالته لخاطبها حين كان مشركا (١٠) .

وقد تتعدد الروافد للخبر الواحد ، فيوجد ابن سعد بينهما
ويقول ، بعد ان يذكر الرواة : دخل حديث بعضهم في حديث بعض . وبين
هؤلاء الرواة احيانا يرد اسم ابن اسحاق او ابن الكلبي . فتأتي رواية
ابن سعد احيانا مختلفة قليلا عن رواية ابن اسحاق في المسيرة او ابن الكلبي
في الاصنام ، ومتفقة احيانا اخرى .

لهذا كله نجد ان ابن سعد - برغم انه لم يعتمد في جميع
رواياته على ابن الكلبي وابن اسحاق - يتفق مع هذين الروائيين في كثير

(٩) المصدر نفسه ، مج ١ ، ص ١٥٩ .

(١٠) المصدر نفسه ، مج ٨ ، ص ٤٢٧ .

من الروايات . ولولا انه انغرد ببعض الاخبار لقلت انه لا يمثل الا جزءا من الرواية العامة التي يمثلها هذان الراويان .

لذلك يمكن القول ان كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد يضيف قليلا الى بعض الاخبار ، ويسد بعض الثغرات في دراسة الحياة الدينية في الجاهلية ، ولكنه لا يعتبر مصدرا اساسيا لهذه الدراسة .

ولما كان كتاب ابن سعد حجر الزاوية في هذه الدراسة فقد حرصت على ان تكون المادة التي وردت فيه عن المعتقدات الدينية هي منطلقي دائما في هذه الدراسة ، ومن ثم تجيء المقارنة بين ما اورده ابن سعد وما اشبهه في المصادر الهامة المتعلقة بالموضوع . اما ما لم يذكره ابن سعد فلم اعرض له الا في النادر اي عندما كان ذكره ضروريا لتوضيح موقف ما . ولم اسمح لنفسني بالتوسع في المقارنة ، اذ انني لم اكتب رسالة في الدين في الجاهلية ، وانما كان هي منصفا الى تبيان دور " الطبقات " وقيمتها في دراسة الدين عند الجاهليين .

الفصل الأول

معبودات الجاهليين

الـ

(١)

يوخذ مما ورد في القرآن ان الجاهليين كانوا يؤمنون بآله فوق مستوى الاصنام والاوثان ذات الاشكال المحسوسة ، ان جاء فيه " ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله " (١) وجاء فيه ايضا " ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فلأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله " (٢) وقد كانت لفظة " الله " دارجة بينهم قبل ظهور الدعوة الاسلامية ، وغالبا ما كانت تستعمل في صيغة النداء فهذا ابو طالب يقول : اللهم انصرنا ممن ظلمنا (م ١ / ص ١٨٩) ، وهذا الوليد بن المغيرة يقول وهو يبدأ بهدم البيت : اللهم لم ترع ، انما نريد الخير (١٤٥ / ١) . وكانوا يكتبون في عقودهم " باسمك اللهم " ، فالصحيفة التي كتبها قريش في مقاطعة بني هاشم (٣) ، كتبت فيها " باسمك اللهم " ، وهي

(١) ٦١ / العنكبوت

(٢) ٦٣ / العنكبوت

(٣) ابن هشام - السيرة النبوية - تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الابيارى ، عبد الحفيظ شلى الطبعة الثانية ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ١٩٥٥ ،

مجلد ١ ، ص ١٥٣ - ١٥٤

العبارة التي ابقت عليها الارضة (١٨٩ / ١) كما تقول الرواية . هذا وكان النبي ، صلعم ، يكتب كما تكتب قريش " باسمك اللهم " (٤) حتى نزلت عليه " اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها " (٢٦٣ / ١) . وقد استعملوا الصيغة المخففة وهي " لاهم " كما في قول عبد المطلب :

لاه ان المرء يمنع رحله فانزع حلالك (٩٢ / ١)
و " لاهم هو " لا عبيدك ومنوع عبيدك (٩٠ / ١)

ومع ان كلمة رحمن وردت في النقوش (Jamme 1028, Ryckmans 508)

الا ان الجاهليين اصرروا ، عندما اراد الرسول ان يدرجها في صلح الحديبية بأنهم لا يعرفونها ولا يعرفون الرحيم (م ٢ / ص ١٠١) في حين ان جماعة من قريش قالت بمعرفة الرحمن ولكنه رحمن اليمامة كما دعت (٥) (١٦٥ / ١) كما كان هنالك واد يقال له وادي الرحمن (٢٦٨ / ١) وقال الجاهليون " قد عرفنا ان الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق " (٢٠٥ / ١) فالصفات التي كانوا يلحقونها بالله هي القدرة على الخلق والرزق والاحياء والاماتة . ونراهم يلجأون اليه في الاستسقاء ، فهذا عبد المطلب يتوجه الى الله داعيا :

(٤) السيرة م ١ ، ص ٣٢٦

(٥) وهو رجل كان قد تسمى بالرحمن في الجاهلية ، وذلك قبل ان يولد رسول الله . السيرة م ١ ، ص ٣١١ الحاشية .

" لاهم تتابعتم علينا هذه السنون فأذهب عنا الجذب واثنتنا
بالحيا والخصب " (١٠ / ١) ، فإذا ما سألت الأودية عرفوا أن الله استجاب
لهم وهو ما قالته رقيقة : " بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا " ، وعرفوا
أيضا أنه هو الذي فجر لهم الماء من الأرض حين اشتد بهم العطش .
وهم في طريقهم إلى الكاهنة فقال عبد المطلب : " هلموا إلى الماء الرواء فقد
سقانا الله " (٨٤ / ١) .

والصورة التي يستمدّها الدارس لطبقات ابن سعد هي أن معرفتهم
لله كانت بقية من دين أسسه التوحيد ، وهو دين إبراهيم وإسماعيل عليهما
السلام ، أو هو " دين العرب " كما سماء تبع الذي أراد تخريب المدينة ليعتد
أهلها عن اليهودية ويرجع الأمر إلى ذلك الدين (١٥٩ / ١) ، ولكن بعد
العهد بهذا الدين جعله نسيا لا يذكر ولا يؤخذ به ، وهذا ما جاء على لسان
راهب في الشام فقد قال لزهد بن عمرو بن نفيل : " أراك تريد دين إبراهيم
يا أخا أهل مكة ، إنك لتطلب دينا ما يؤخذ به اليوم ، وهو دين أبيك
إبراهيم " (١٦٢ / ١) ولكن تقادم العهد لم يفسد العرب أن لله بيتا
هو الكعبة (٦) فهذا عبد المطلب يقول لا برهة : " اردد عليّ أهلي ودونك والبيت

فان له ربا سينعه * (٧) ثم يقف ويدعو الله ان يمنح بيته (١٢ / ١) .
والى بيت الله هذا كانوا يولون وجوههم ، حتى ان المسلمين عندما امسروا
بالتوجه الى الكعبة قيل : " ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها " (م ٤ / ص ٣٦٢)
والى هذا البيت ايضا كانوا يحجون ، ويدعوهم
القرشيون زوار الله وضيوفه ويدعون انفسهم جيران الله (٧٨ / ١) .

فهم اذن ، كانوا يعرفون الله ، ويؤمنون به الهيا يعلو على الاصنام
والاوثان ، التي عبدوها لتقربهم الى الله ، وهذا ما جاء على السنتهم :
" قد عرفنا ان الله يحيي ويميت ولكن آلهتنا تشفع لنا عنده " (٢٠٥ / ١)
ويشبه هذا قول القرآن فيهم " ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى " (٨) من
هذا كله نرى ان الايمان بالله تراجع وتضائل بينما برز دور الوسيط والشفيع ،
ومع مرور الزمن أصبح الشفيع مدار العبادة واصبح دوره اكثر وضوحا في حياة
العرب من دور الله . فالصنم له وجود محسوس ، وهو يرى ويلبس في حسين
ان لله وجودا غير مرئي . ومع ان الصنم لم ينف وجود الله ولم يؤد الى انكار

(٧) السيرة م ١ ، ص ٤٨ ، ص ٥٠

(٨) ٣ / الزمر .

وجوده فانه استأثر بمظاهر العبادة واصبح مدار الشعائر ، وما يؤمن اكثرهم
بالله الا وهم مشركون * (٩) .

(٢) الاصنام والاوثان والانصاب :

لم يبين ابن سعد كيف بدأت الوثنية ولا كيف انحرف العرب عن
دين ابراهيم الحنيف حتى اصبحوا مشركين ، ولكن المصادر الاخرى اوردت روايات
مختلفة ، فمن قائل ان عمرو بن لحي هو الذي غير دين اسماعيل (١٠) ، ومن
قائل ان الذي سلخ بهم الى ذلك كان احتمالهم للاحجار من الحرم تعظيما
له ثم عبدوا هذه الاحجار (١١) . وحين يذكر ابن سعد هذه المعبودات يسميها
اصناما في الغالب (١٢٧/٢) (م ٣/ص ٥٩٨) (٣٧٨/٤) واوثانا احيانا (م ٨/
ص ٣٠٤) . وابن سعد لا يختلف عن غيره من الرواة والمؤلفين في استعمال
كلمتي الصنم والوثن في معنى واحد . هذا مع ان ابن الاثير وابن سيوط
وابن عرفة (١٢) وابن الكلبي (١٣) اعطى كل واحد منهم تعريفا للصنم وللوثن

(٩) ١٠٦/سورة يوسف

(١٠) لمعرفة المزيد راجع : ابن حبيب البغدادي - المنق - مطبعة مجلس دائرة
المعارف العثمانية ، حيدرآباد الدكن - الهند - ١٩٦٤ ص ٤٠٥ - ٤٠٦ هـ
بن محمد السائب الكلبي - الاصنام - تحقيق احمد زكي ، مصورة عن طبعة دار الكتب
١٩٢٤ - ص ١٣ ٥٤٤ - ٥٥

(١١) الاصنام ، ص ٦

(١٢) اللسان مادة وثن

(١٣) الاصنام ، ص ٣٣ ، ص ٥٣ .

كما حاول التفريق بينهما •

اما النصب ^(١٤) فهو ايضا استعمال استعمالا مبهما وكل ما ذكره

ابن سعد حوله هو الذبح على النصب (٥٦ / ٢)

مادة المعبودات واشكالها :

وكانت هذه المعبودات من حجر او خشب او معدن ^(١٥) ولكن

ابن سعد أشار الى كونها من حجارة او من خشب فقط • من ذلك ما قاله

النبي لخالد بن سعيد ابن العاص ردا على سؤاله : يا محمد الى ما تدعوا؟

••••• ادعو الى الله ••••• وخلع ما انت عليه من عبادة حجر لا يسمع

ولا يبصر ••• • (٩٤ / ٤) • ومنه ايضا ما قاله ابو عثمان النهدي : كما

في الجاهلية نعبد حجرا (م ٧ / ص ٩٢) • واما ما قاله الغميصا •

وهي ام انس بن مالك ، فيدل على كون الاصنام من حجر او خشب وذلك

في قولها لابي طلحة ، وهو مشرك : " أرايت حجرا تعبد ، لا يضرك ولا ينفعك ،

او خشبة تأتي بها النجار فينجرها لك ••• " (٤٢٦ / ٨) وفي رواية

(١٤) راجع اللسان مادة نصب ، الاصنام ، ص ٣٣ ، ٤٥٤

(١٥) اللسان مادة وثن ، الاصنام ص ٥٣ •

اخرى قالت : " ٠٠٠ اما تعلم يا ابا طلحة ان آلهتكم التي تعبدون ينحتها
عبد آل فلان النجار ٠٠٠٠٠ وانكم لو شعلتم فيها نارا لاحتقرت " (٤٢٧ / ٨)
دلالة على انها من خشب (١٦) . وذكر ابن سعد ايضا ان ذا الكفـين
كان من خشب (٢٣٩ / ٤) . ويتضح من قول الغميصاء " ينحتها عبد آل فلان
النجار " انه كان للاصنام اشكال معينة ، الا ان ابن سعد لم يحددها ولم يتطرق
لشكلها ان كانت اصناما خاصة لفرد او عائلة او عامة لعشيرة او قبيلة ،
باستثناء حالة واحدة اذ ذكر ان وثنا كانت تعكف عليه نساء مكة في رجب
كان على هيئة رجل (١٥ / ٨) ، ولكنه لم يذكر اسم الوثن في حين ان مصادر
اخرى حددت اشكال بعض الاصنام ، من ذلك اللات التي قيل انها كانت
صخرة بيضاء عظيمة (١٧) والفلس الذي وصف بانه انف احمر في وسط الجبل
أجأ (١٨) . الا ان ذكر صنم اطلق عليه ابن سعد اسم بوانة في حمى
الكعبة (١٣٧ / ٢) ، وبوانة اسم هضبة ، يدل على ان ذلك الصنم ، والذي

-
- (١٦) كان عمرو بن الجموح ، من اهل المدينة ، قد اتخذ في داره صنما من خشب
انظر السيرة م ١ ، ص ٤٥٢ .
(١٧) ابن حجر ، فتح الباري بشرح البخاري - مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ١٩٥٩ ،
باب التفسير ، الاصنام ، ص ١٦ - ١٧ ، ياقوت بن عبد الله الحموي - معجم
البلدان - دار صادر ، دار بيروت - بيروت ١٩٦٨ ، مادة اللات .
(١٨) الاصنام ص ٥٩ ، معجم البلدان مادة الفلس .

كان ببوانة الهضبة ، له شكل معين • ولعله اخذ اسمه من اسم المكان واطلسق
على شبيهه في جوار الكعبة الاسم نفسه ، اى انه كان ذا شكل خاص بـه ،
وان لم يبين لنا المؤلف ما هو •

وكان البدوي من اهل الوبر لا يعنى كثيرا بان يكون لعنمه شكل ،
اذ كان ينزل الحي فيبحث عن حجر يدعوها • وهذا ما وضعه عمرو بن
عبسة السلمي في قوله : " اني امرؤ من يعبد الحجاره ، فينزل الحي ليس
معه اله فيخرج الرجل منهم فيأتي بارية احجار فينصب ثلاثة لقدمه ، ويجمع
احسنها لها يعبد ، ثم لعله يجد ما هو احسن منه قبل ان يرتحل فيتركه
ويأخذ غيره اذا نزل منزلا سواه • (١٩) (٢١٧ / ٤) •

اماكن عبادة الاصنام :

تبين مما سبق ان البدوي كان يفتش عن رب يضعه في محل نزوله
حرصا على " رمز " ما • وما كان اهل المدر ليختلفوا عن اهل الوبر

(١٩) وهذا يتفق مع ما قاله ابن الكلبي ، انظر الاصنام ص ٣٣ ، وذكر ابن حبيب
احد الذين اکتروا من تغيير اربابهم وهو الحارث بن قيس بن عدي السهمي
وهو صاحب الاوثان ، وكان كلما مر بهجر احسن من الذي عنده اخذه والقي ما
عنده وفيه نزل الآية " رأيت من اتخذ الهه هواه " (٢٣ / سورة ٤٠) ،
المنق ص ٤٨٤ - ٤٨٥ •

من هذه الناحية ، فهم ايضا كانوا يحتفظون بالاصنام في بيوتهم يشربون بها
ويتسحون (٢٠) ومن الذين وضعوا اصناما في بيوتهم ، هند بننت عتبة
(٢٣٧ / ٨) وابو الدرداء (٣٩١ / ٢) . ولم يكونا الوحيدين ، فان
مناذي الرسول ، حين تم فتح مكة ، نادى في الناس : من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما الا كسره . (١٣٧ / ٢) . وكانت
لبعض الاصنام بيوت وحى ، وسدنة تقوم على خدمتها . ولعل اهم هذه
الاماكن الكعبة التي كان حرما يضم عددا من الاصنام قيل انه بلغ
ثلاثمائة وستين (١٣٦ / ٢) . ومن آلهة التي كان لها حى العزى واللات
ومناة وذو الشرى ، وسياىي ذكرها وذكر غيرها وذكر احماها حين يجي دور القول
في هذه آلهة . وكان العرب لا يعبدون شجر الحى تقديسا له وخوفا
من اله الحى (٧١ / ١) .

التسمية بالآلهة :

آلهة العرب كثيرة ومتعددة ، وقد سماها ببعضها تعبيراً عن العبادة
والبر (٢١) . وهذا ما فعله قسي بن كلاب فقصد قال :

(٢٠) السيرة م ١ ، ص ٨٣ ، الاصنام ، ص ٣٣

(٢١) راجع مقالة الدكتور ليمان ، اسما الاعلام في اللغات السامية ، مجلة كلية الآداب
جامعة فؤاد الاول - ديسمبر ١٩٤٨ .

" ولد لي اربعة رجال فسميت اثنين بالهي . . . " والليذان سماهما
بالله عبد مناف وعبد العزى (٢٢) (٧٠ / ١) ، ولم يكن عبد العزى
وعبد مناف ابنا قصي ، الوحيدين اللذين تسميا باسماء الآلهة ، بل
تسمت العرب بالعزى ومناف وغيرهما فكان عبد شمس وعبد يغوث وعبد ود وعبد
اللات (٢٣) وعبد مناة ، وقد تكررت هذه الاسماء ووردت في نسب العديد
من ترجم لهم ابن سعد ، ونجدها على صفحات طبقاته . وهناك من تسمى باسم
هبل ، وقد ورد هذا الاسم مرتين احدهما في نسب تماضر بنت الاصبغ
(٢٩٨ / ٨) والاخرى في نسب سكينه بنت الحسين (٤٧٥ / ٨) ، وفي
المرتبتين كليهما كان يشير الى شخص واحد . اما الانتساب الى ما يرمز
لاله ، فنراه في اسم بني وثن وهم من همدان (م ٦ / ص ٣٦٩) .

ولو استعرضنا هذه الاسماء لوجدنا انها في غالبها تبدأ بكلمة
عبد ولعل هذه التسمية توضح العلاقة بين الانسان العربي والله ، فهي
علاقة رب وعبد . وما يؤكده هذه العلاقة ما قاله
عبد المطلب في دعاء الاستسقاء : " لاهم هو لا عبيدك ونو عبيدك

(٢٢) المنق ٥ ص ١٨

(٢٣) تيم اللات ، بمعنى عبد اللات ، انظر لسان العرب مادة تيم .

اماؤك وبنات اماؤك " (٢٤) (١٠/١) • وهي احدى علاقيتين قال بهما روبرتسون سميث ، اما الثانية فهي علاقة ابوة (٢٥) • ولكن علاقتهم الابوة عند العربي تحمل في طياتها شيئا من السيادة ، فهذا قصي عندما سمي ابناؤه ، سمي اثنين بالعه ، كما ذكرنا ، وثالثا باسمه فكان يقال لـه عبد قصي (٢٠/١) وربما كان هذا يعني تقديس الاسلاف عند العرب • ويتضح هذا الامر في خبر ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر الذين ، ان صححت الرواية ، كانوا اجدادا صالحين ، ثم مع مرور الزمن اتسعت حولهم هالسة التقديس فأصبحوا آلهة تعبد (٢٦) • وان كانت الرواية موضوعة ، وهذا هو الغالب ، فان العقلية التي وضعت القصة تشير الى ان مكانة السلف في قلوب الخلف كانت تتسم بالاجلال والسيادة ، ثم تزداد قوة مع الزمن حتى تصل الى درجة التقديس •

اسماء الاصنام التي ذكرها ابن سعيد :

(مرتبة بحسب الترتيب الهجائي •)

(٢٤) المنق من ١٦٨ - ١٦٩ •

(٢٥) Smith, W. Robertson, Lectures on the Religion of the Semites, Adam & Charles Black, London, 1894 p.70 pp. 40-44.

(٢٦) الاصنام ، ص ٥١ - ٥٢ •

اساف : (٢٧)

- ١

وقد ورد اسمه مقترنا باسم نائلة . واساف ونائلة صندان كانا عند الكعبة وكانت قريش تطوف حولهما وتدعوها . وقد سمع ابو ذر الغفاري امرأة تطوف بالبيت وتدعو بدعاء حسن حتى اذا ما اتت الى نهاية دعائها ختمته بقولها : " يا اساف يا نائلة " (٢٢٣ / ٤) . وفي الاصل كما تقول الروايات كانا رجلا وامرأة عشق الواحد منهما الآخر ، وقصد وفدا حاجين ، حتى اذا ما وجدا خلوة في البيت فجرا نفسيهما فوضعا خارج الكعبة ، ثم تزلفت اليهما قريش من بعد ، وهذا ما عناء ابو ذر في قوله للمراتين اللتين كانتا تطوفان بالبيت في ليلة قمر ، وتدعوان اساف ونائلة : " اتكحا احدهما الآخر " فهو بذلك يذكرهما بان يدعوان من دون الله هما مسخان لفاجرين . وقصة الصنمين هذه قصة موضوعة والارجح انه اتى زمان على العرب وجدوا فيه هذين الصنمين في جوار الكعبة ، ولم يعرفوا كيف وجدا ، فوضعوا هذه القصة . ولعل الذي دعا الى وضعها هو وجود الصنمين ملطخين بالدماء ،

(٢٧) لمعرفة اسميهما الكاملين واصلهما وموضعهما ومن كان يعبدهما وتلبس به اساف يمكن الرجوع الى الاصنام ص ٩ ، ص ٢٩ ، السيرة م ١ ص ٨٢ ، ص ٨٣ ، ص ١٤٦ ، ص ١٥٣ ، ص ١٥٤ ، منجم البلدان مادة اساف ، المثلث ص ٣٤٤ - ٣٤٥ ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ ، ص ١٣١ ، ابن خبيب البغدادي - الحبر - رواية ابي سعيد الحسن السكري ، طبعة مصورة ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر - بيروت ، ص ٣١١ - ٣١٨ .

فإن الخطيئة لا يتم التكفير عنها إلا بالتضحية وارقة الدماء ، وهذا امر كان شائعا عند الساميين . والذي يهمنا في القصة ، هو النمط الثقافي الذي يكمن وراءها . فقولهم وفدا حاجين ابعاد للثمة عن مجاورى الكعبة لانهم يعرفون قدسيتهما ، وقولهم فجرا في الكعبة ، ففسخا صنمين يدل على تحريم الاتصال الجنسي بين الحجاج ، وعلى تحريمه في الكعبة او في حماها (٢٨) ، ولكن الالم اذا ما تم التكفير عنه ، ومع مرور الزمن ، يصبح مرتكبه شفيعا او وليا ، وهذا ما حدث لاساف ونائلة ، حسب الرواية . فأصبحا شفيعين لقريش عند الله تتزلف اليهما وتتقرب بالقرايين وتدعوها تزلفا لله (٢٢٣ / ٤) .

بـواننة :

- ٢ -

كان بين الاصنام التي وجدت حول الكعبة ، والتي امر النبي بكسرها (١٣٧ / ٢) . وبوابة هضبة وراء ينبع قريبة من ساحل البحر (٢٩) وكان بها صنم تحضره قريش وتعظمه ، ولعله اتخذ اسمه من اسم المكان حتى تسمى باسمه شبيهه الذي كان في جوار الكعبة (٣٨٠ / ٣) . ولم يذكر احد هذا الصنم

(٢٨) انظر سميث ص ٤٨١ ، ص ٤٥٤ ، ٤٥٥

(٢٩) معجم البلدان ، مادة بواننة .

غير ابن سعد . وذكر عنه ايضا ان القرشيين كانوا ينسكون له النساءك ويحلقون رؤوسهم عنده ويعكفون عنده يوما الى الليل وذلك يوما في السنة (١٥٨ / ١) .

٣ - ذو الخلصة : (٣٠)

صنم كان لخنعم وبجيلة ودوس وقد نفى ابن حجر ان يكون لدوس علاقة به (٣١) . ولكن ام شريك الدوسية روت انها كانت وقومها في دارهم قبل ان يرتحل بهم ، وكانوا بذى الخلصة (١٥٥ / ٨) ، ولعلها عنست بذلك حتى الاله وهذا يدل على انهم كانوا يعبدونه . واما الذي هدمه فهو من بجيله ، وهو جرير بن عبد الله البجلي (٣٤٧ / ١) ، فتبـع ذلك ان اقبل رجال من خنعم على النبي واسلموا (٣٤٨ / ١) . وهذا يدل على انه كان لدوس وبجيلة وخنعم .

(٣٠) لمعرفة المزيد عن ذى الخلصة ، شكله وتبليغه ، والاستسقام عنده والنحر له والتقدمات انظر معجم البلدان مادة الخلصة ، الاصنام ، ص ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ص ٤٧ ، السيرة م ١ ، ص ٨٦ ، المحبر ، ص ٣١٢ ، ابن حجر و كتاب المغازي وللتبليغ المحبر ص ٣١٢ .

(٣١) انظر ابن حجر و كتاب المغازي .

ذو الشرى :

٤ -

صنم كان لدوس (٣٢) وله حنى يحمونه يقال له حسي . وكان به
وشل من ماء يهبط من الجبل . ولما رجع الطفيل بن عمرو من مكة مسلماً
ارادت امرأته ان تتبعه وتكون على دينه ، فأمرها ان تذهب الى حسي ذي الشرى
وتتطهر منه ، فسألته : بأبي انت ، أتخاف على الصبية من ذي الشرى شيئاً ؟
قال : لا ، انا ضامن لما اصابك (٢٣٩/٤) ، ويبدو من سوء الحال
انه كان هنالك سبب خافت منه هذه المرأة على نفسها ، ويفقل سميت عن قلهـاوزن
تعليقه على قول المرأة : انها باعترافها الاسلام توجب عليها تطهير نفسها .
ويعتقد ان المرأة التي تكون بحاجة الى الغسل لم يكن ليسح لها باستعمال
المياه المقدسة (٣٣) . ويقول سميت انه لم يكن ليجزو شخص غير طاهر
على الاقتراب من الماء المقدس . ويضيف ان الاقدمين لم يكونوا ليفرقوا بين
حالي عدم الطهارة ، الجسدية منها والروحية (٣٤) . ولا نستطيع

(٣٢) يتفق ابن اسحاق في السيرة م ١ ص ٣٨٤ مع ابن سعد في ان ذا الشرى
صنم دوس وكذلك ياقوت في معجم البلدان مادة الشرى ، اما ابن الكلبي
فيقول انه لبني الحارث بن يشكر بن مضر من الازد ، الاصنام ص ٣٧ .

(٣٣) سميت ص ١٦٨ .

(٣٤) سميت ص ١٧٩ .

التعليق على تأويل قلها وزن وسميث لان الرواية لم تبين لنا سبب اغتسال المرأة
او سبب خوفها . والظاهر ان زوجها ارادها ان تتطهر من رجس الوثنية ، وانها
خافت ان تكون باغتسالها بهياه ذي الشرى ترتكب اثما حسب المعتقد الجاهلي ،
او تخرق تقليدا وبذلك تتعرض للانتقام الاله .

_____ سواع : (٣٥)

كان صنم هذيل (٣٦) . وكان له ، كما لاصنام اخرى ، سادن يقوم
على خدمته . كما كانت له خزانة تحفظ فيها الهدايا التي تقدم للصنم .
وقد اعتقدت هذيل ان هنالك قوة تمنعه وتصد عنه من يريد به الاذى اذ عندما
ذهب عمرو بن العاص في سرية لهدم الصنم ، قال له السادن : لا تقدر على
ذلك ، تمنع (١٤٦/٢) وكانت هذيل تقدم له الذبائح (١٦٢/١) وتطلب
منه البركة والبرء اذا اصابها او اصاب ماشيتها سوء او مرض (١٦٨/١) .

(٣٥) قيل انه صنم قديم اتخذه هذيل بن مدركة ، وهو كما قيل من اصنام قوم
نوح ، واخذه عمرو بن لحي فاعطاه لهذيل بن مدركة . انظر الاصنام ص ٩ - ١٠
معجم البلدان مادة سواع والتلبية المحبر ، ص ٣١٢ .
(٣٦) قال ابن حبيب انه لم يكن لهذيل وحدها بل عبده بنو كنانة ومزينة وعمرو
بن قيس بن عيلان المحبر ، ص ٣١٦ ، ويقول ايضا ان مضر عبده ، والنمق ،
ص ٤٠٦

شمس : (٣٧)

- ٦

تسمت العرب بها فقليل عبد شمس وعيشمس • ويبدو ان بعضهم
كان يسجد لها في شروقها ومغيبها ، اذ قال النبي لعمر بن عبدسمة :
" اذا صليت الصبح فأقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس ، فاذا طلعت فلا تصل
حتى ترتفع ، فانها تطلع بين قرني شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار •
• ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فانها تغرب بين قرني شيطان ، وحينئذ
يسجد لها الكفار " (٣٨) (٢١٦/٤ - ٢١٧) • ولعل هذا ما دعا
زيد بن عمرو بن نفيل الى الانتظار حتى تزول الشمس قبل استقباله الكعبة
بقصد الصلاة والسجود (٣٨٠/٣) فهو الرجل الذي رفض الوثنية بكسل
طقوسها وتقاليدها ، فابتعد عن السجود في وقت كان يسجد فيه الوثنيون (٣٩) •

(٣٧) يقول ياقوت ان الاسم شمس ، بضم اوله ، وكان صنم لبني تميم ولهم
بيت وكانت تعبده بنو أد كلها ، ومعجم البلدان ، مادة شمس ، المحبر
ص ٣١٦ ، للتلمية انظر المحبر ٣١٢ •

(٣٨) ابن حجر ، مواقيت - الحاشية •

(٣٩) لم تذكر المصادر شيئاً عن الشعائر التي كانت تقام تغديماً للشمس ، ولكن
ابن اسحاق ذكر عن الربيع ، فقال كان لا يتم الا اذا مالت الشمس السيرة

١ ص ١٢٠

العزى :

كانت يهطن نخلة وسدنتها من بني سليم . عبدتها قرش وجميع
بني كنانة وكانت اعظم اصنامهم ^(٤٠) (١٤٦/٢) حتى ان نداءهم
الذى نادوا به في احد كان : يا للعزى ا يا لهبل (٤٢/٢) وبلغ من فخرهم
بها ان ابا سفيان رد على اصحاب الرسول حين قالوا : " الله اعلى وأجل " ،
بقوله : لنا العزى ولا عزى لكم ^(٤١) (٤٨/٢) وقد اکتروا من التسمية
بها . وكثروا ما قرنوها مع اللات فحين اسلم بلال بن رباح اخذه اهله
فمطوه والقوا عليه من البطحاء وجعلوا يقولون له : ربك اللات والعزى (٢٣٢/٣)
وكذلك قالوا لزبيرة حين عيت : اصابتك اللات والعزى ^(٤٢) (٢٥٦/٨) .
وكان للعزى صنم وضع مع اصنام اخرى حول الكعبة ، فلما كان الفتح ، ارسل
النبي السرايا الى الاصنام التي حول الكعبة لكسرها وكان بينها صنم
العزى (١٣٧/٢) . واما حماها فكان بنخلة كما ذكرنا ، واعتقدت
العرب ان العزى شيطانه ^(٤٣) . لذلك تسمى بها الكاهن العذري فكان

(٤٠) السيرة م ١ ص ٨٣

(٤١) ابن حجر ، المغازي - غزوة احد

(٤٢) السيرة م ١ ص ٣١٨

(٤٣) الاصنام ص ٢٥

يقال له عزى سلمة (٤٤) (٨٨ / ١) للعلاقة بين الشياطين والرحم بالغيب .
وكان لها سادن من بني شيان يسهر عليها ، وتقول الرواية ان النبي ارسل
خالد بن الوليد الى العزى ليهدها ، فلما رجع سأل النبي : هل رأيت
شيئا ؟ قال : لا . قال : فانك لم تهدها فارجع اليها فرجع
خالد . . . فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ناشرة الرأس ، فجعل السادن
يصيح بها ، فضربها خالد فجزلها باثنين ورجع الى رسول الله ، فاعبره ،
فقال : نعم تلك العزى (١٤٥ / ٢ - ١٤٦) . ولم يبين ابن سعد
ما الذي هدمه خالد ، هل كان بناء ، ام انه عضد سعة كما يقول ياقوت
وابن الكلبي (٤٥) . والارجح ان ما هدم خالد كان بيت العزى ثم
قطع الشجرات التي كانت في حماها كما يقول ابن حبيب (٤٦) .

(٤٤) المنق ١١٠ ص

(٤٥) معجم البلدان مادة العزى ، الاصل ص ٢٥ .

(٤٦) المحبر ص ١٢٤

ومهما اختلفت الروايات حول الذي هدمه خالد فانها التقت جميعها حول امر واحد وهو ان العزى كانت شيطانة سوداء ناشرة شعرها ، وكانت تتخذ مكانا لها ببيتن نخلة ، لها صنم حول الكعبة وآخر عند ثقيف (٣١٣/١) ، وهي الالهة الوحيدة التي قرنت بالشجر حتى ذهب ابن الكلبي وياقوت الى انها كانت ترتاد ثلاث سمات (٤٧) .

وهنا يجدر بنا ان نتوقف عند نقطتين اولاهما انها كانت شيطانة ، وهذا يربطها بالقوة الخارقة التي كانوا يصفونها على الجن ، وبالانتقام من يسي * اليهم ، لذا نسبوا اليها عن زنبرة (٢٥٦/٨) . والنقطة الثانية ان خالدا * جزلها باثنين * ، فانه لم يرد في اى خبر جاهلي عن مقتل شيطان او جني بهذه الطريقة ، وكل الاخبار التي وردت عن مقتل الجن ، كان قتل الافاعي والحيات ، التي اعتقدوا ان الجن تتخذ شكلها (٤٨) . فاذا كان خالد قد قتل امرأة حبشية ، وقال له النبي : " نعم تلذك العزى " ، فالارجح انهم ، اي العرب ، قد اعتقدوا ان شيطانتهم العزى قد تقمصت جسد هذه المرأة ، ولربما تقمصت اجسادا قبلها ، لان ما قاله

(٤٧) معجم البلدان مادة العزى ، الاصل ص ٢٥ .

(٤٨) راجع المنق ، ص ١٢١ - ١٢٢ .

ابن الكلبي ، وانها احدث من اللات ومناة (٤٩) ، لا يعني ان بدء وجودها كان مع بدء حياة هذه المرأة . فاسم عبد العزى الذي تسما به قبيل مبعث النبي بعدة اجيال ، يدلنا على ان وجودها سبق وجود هـ المرأة ، اذا سلمنا بما قاله خالد من انه رآها ، وانه جزلها باثنين ، والا نفينا رويته للالهة ، وان ما جزل خالد كان امرأة تقيم على خدمة هذه الشيطانة (٥٠) التي عبدوا ، وهو الأرجح . ولا يمكن لنا ان نبت في اصل العزى والشكل الذي كانت تتمثل به لاتباعها ، لان الادلة عندنا قليلة ، ولا يسمنا الا ان نعيد ما قال به الاقدمون ، وهو ان العرب اعتقدت بان العزى كانت شيطانة وانها كانت تتمثل لهم على شكل امرأة سوداء .

عن أنس : (٥١)

- ٨

وقيل عيانس . هو صنم كان لخولان (٣٢٤ / ١) .

(٤٩) الاصنام ، ص ١٧

(٥٠) لمعرفة المزيد عن العزى يمكن الرجوع الى معجم البلدان مادة العزى ،

مادة الغيب ، الاصنام ، ص ١٧ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، والسيرة م ١ ،

ص ٨٣ ، ٨٤ ، م ٢ ، ص ٤٣٦ - ٤٣٧ ، وللتبئية انظر الحبر ، ص ٣١١

(٥١) انظر معجم البلدان ، مادة عيانس .

٩ - فَراض :

صنم كان لسعد العشيرة (٢٤٢/١) وقيل ان اسمه _____
فَراض (٥٢) .

١٠ - الْفُلْس :

صنم طيء وقيل ان اسمه الفلّس (٥٣) والفلّس (٥٤) والفلّس (٥٥) .
كانت له خزانة للتذوّر والتقدّمات . (١٦٤/٢)

١١ - ذو الكفين :

وكان صنما لعمرو بن حمّة (٢٣٩/٤) وقيل انه كان للطفيل
بن عمرو ، كان من خشب وقد احرقه الطفيل حين اسلم وقال :

يا ذا الكفين لست من عبادك ميلادنا اقدم من مبيـ_____لادك
انا حششت النار في فؤادك (٥٦) .

(٥٢) انظر معجم البلدان ، مادة فراض

(٥٣) الاصنام ، ص ٥٩ ، والبحر ، ص ٣١٦

(٥٤) السيرة م ١ ، ص ٨٧

(٥٥) معجم البلدان مادة الفلّس - لمعرفة المزيد عن الفلّس ، انظر الاصنام ، ص ٥١٥

٥٩ ٦١٥ - ٦٢ ، ومعجم البلدان مادة الفلّس .

(٥٦) معجم البلدان مادة الكفين ، الاصنام ، ص ٣٧ ، السيرة م ١ ، ص ٨١

١٢ - اللات : (٥٧)

كانت لثقيف ، ومكانها بالطائف ، نعتها النبي بالطاغية فــــــد
قال لرقية ، عندما ذهب للطائف ، لا تعبدى طاغيتهم ، ولا تعلمي لـــــــا
(٤٩٢ / ٨) ، وعنى بقوله الطاغية اللات (٥٨) . وكانوا يدعونها
ايضا الرثة وقد سأل ابو مليح النبي ان يسمح له بقضاء دين ابيه مــــــن
حلي الرثة ، وعنى بذلك اللات (م ٥ / ص ٥٠٥) (٥٩) وكان سدنتها
من ثقيف ، فقد ورد عن المغيرة بن شعبه ، وهو من ثقيف قوله : كــــــا
قوما من العرب متمسكين بديننا ونحن سدنة اللات (٢٨٥ / ٤) . وكانت لها
مكانة كبيرة في نفوسهم حتى انهم استعفوا من هدمها عند اسلامهم (٦٠) ،
(٣١٣ / ١) ، او ربما كان ذلك خوفا من انتقامها (٦١) لما في نفوسهم
من بقية جاهلية ، فهم كانوا ينسبون اليها الانتقام ممن يسوءها كما ورد في
الكلام عن العزى . هذا وقد تسموا بها فكان : عبد اللات وتيم اللات وزيد
اللات .

(٥٧) لمعرفة شكلها واصلها انظر الاصنام ص ١٦ - ١٧ ، ومعجم البلدان مادة
اللات ، ابن حجر ، التفسير " افرايتم اللات والعزى " ، عن بيتها انظر المثلث
٧٣ ، والمحبر ص ٣١٥ ، ومعجم البلدان مادة اللات ، وللتلبية المحبر ص ٣١٢ .

(٥٨) السيرة م ٢ ص ٥٤٠

(٥٩) السيرة م ٢ ص ٥٤٢

(٦٠) السيرة م ٢ ص ٥٤١

(٦١) السيرة م ٢ ص ٥٧٤

١٣ - مناف : (٦٢)

لم يرد عنه غير التسمية به ف قيل عبد مناف .

١٤ - مناة : (٦٣)

كانت بالمثل للاوس والخزرج وفسان (٦٤) . تسمت العرب بها
فقال : عبد مناة وزيد مناة . وكان لها سادن رآه سعد بن زيد الاشهلي
حين بعثه النبي لهدمها (٦٥) . وتقول رواية ابن سعد ، ولم يذكر
ذلك احد غيره ، ان مناة كانت امرأة عريانة سوداء نائرة الرأس . وقـــد
ظهرت لسعد حين تقدم من الصنم وقال لها السادن : مناة دوتك بعـــض
غضباتك (١٤٧/٢) ، ويظهر ان الصنم كان قائما وان مناة ظهرت حين تقدم
سعد من الصنم . وهذا يشير الى اعتقادهم ان الصنم كان مكان اقامة الربة
ولم يكن الربة نفسها . وهناك تشابه بين قصة هدم العزى وهدم مناة . ولعل

-
- (٦٢) انظر الاصنام ، ص ٣٢ ، معجم البلدان ، مادة الغنخب ، ومادة مناف
(٦٣) الحج وحلق الرؤوس عند مناة انظر الاصنام ، ص ١٤ ، معجم البلدان مادة
مناة ، والتلبية المحبر ص ٣١٣ .
(٦٤) قال ابن الكلبي انها كانت ايضا لهذيل وخزاعة ، وكل العرب عظمتها انظر
الاصنام ، ص ١٣ - ١٤ ، وقال ياقوت ان الازد وفسان حجت اليها انظر معجم
البلدان ، مادة مناة .
(٦٥) قيل ان الذي ارسله النبي كان علي بن ابي طالب راجع الاصنام ص ١٤ -
١٥ ، السيرة م ١ ، ص ٨٥ - ٨٦ ، معجم البلدان مادة مناة . وقال ابن هشام
ان النبي ارسل ابا سفيان بن حرب انظر السيرة م ١ ، ص ٨٦ .

هذه المرأة التي ذكر سعد انه قتلها كانت في خدمة مائة كما ذكرنا
في معرض الكلام عن العزى . وكانت لها خزانة توضع فيها التقدّمات (١٤٧/٢) .

١٥ - نائلة :

(انظر : اساف)

١٦ - هبل : (٦٦)

من اصنام قريش ، وهو اعظمها وكان وجاء الكعبة (١٣٦/٢) . وقال
ابن الكلبي وابن اسحاق انه كان في جوف الكعبة (٦٧) . وتذكر رواية
ابن سعد ان عبد المطلب دخل جوف الكعبة ليضرب بالقداح (٨٩/١) ويسوق
ابن اسحاق الرواية نفسها الا انه يضيف ان عبد المطلب كان قائما آنذاك عند
هبل (٦٨) . فاذا كان ما عناه ابن سعد في قوله انه دخل جوف الكعبة

(٦٦) لمعرفة المزيد عن هبل وعن شكله والمادة التي صنع منها يمكن الرجوع
الى معجم البلدان مادة هبل والاصنام ص ٢٧ - ٢٨ والسيرة م ١ ص ٧٧
٨٢ والتلبية ، الخبر ص ٣١٥ .
(٦٧) الاصنام ص ٢٧ ، السيرة م ١ ص ٨٢ .
(٦٨) السيرة م ١ ص ١٥٤ .

واستقسم له السادن ، ان ذلك كان عند هبل ، اصبحت موقع هبل داخل الكعبة وهذا يتفق مع رواية ابن الكلبي وياقوت ، وهو يناقض ما ذكره ابن سعد من ان هبل كان في مواجهة الكعبة ، اي في خارجها . ولعله كان هنالك صنمان لهبل ، احدهما في جوف الكعبة والاخر خارجها ، فكان الثاني هو الذي اشار اليه النبي بقضيب في يده فوق لوجهه (١٣٦ / ٢) .

وقد دعي هبل بصنم خزيمية لان خزيمية بن مدركة هو الذي وضعه (٦٩ / ١) وهذا ما يقول به ايضا ابن الكلبي وياقوت (٦٩) ، اما ابن اسحاق فيذكر ان عمرو بن لحي (٧٠) هو الذي نصبه بعد ان قدم به مكة من الشام . وكانت له مكانة كبيرة عند قريش ، لا تقل عن مكانة العزى ، حتى انهم نادوا باسميهما في معركة احد فقالوا : يا للعزى ! يا لهبل ! (٤٢ / ٢) ويبدو ان هبل كان يتمتع بمركز يختلف عن مركز العزى فان ابا سفيان ارتجز في موقعة احد وقال : اعلى هبل (٤٧ / ٢) وفسر قوله على انه يعني اظهر دينك ، وفسر على انه اي هبل ، اعلى من كل شيء (٧١) ويتفق القول مع ما ذكره ابن سعد من انه

(٦٩) الاصنام ، ص ٢٨ ، ومعجم البلدان مادة هبل .

(٧٠) يقول ابن حبيب انه عمرو بن ربيعة ، والمنق ص ٣٥٣ - ٣٥٤ ، وقيل

ان ربيعة هو لحي انظر المنق ص ٣٥٢ الحاشية ، الاصنام ، ص ٨ ، ص ٥٤ .

(٧١) ابن حجر ، كتاب المغازي ، غزوة احد ، الحاشية .

كان اعظم اصنامهم (١٣٦/٢) اي انه ارفع مكانة من العزى • ولكن شعارهم
يا للعزى • يالهبل • يدلنا على ان لكل منهما مكانة لا تقل عن الاخرى —
حيث الاستجارة بهما او التشفع لديهما • ولعل العزى كانت ترمز للقوة او السطوة •
فكونها شيطانة جعلها تتمتع بقوة خارقة تعينهم في حربهم ضد المسلمين •

(٧٢)

— ١٧ —

لم يذكر ابن سعد عنه شيئا سوى انهم سمو به فقالوا عبد ود •

(٧٣)

— ١٨ —

لم يرد عنه في الطبقات سوى التسمية باسمه فقالوا عبد يغوث •

هذه الاصنام التي اتى ابن سعد على ذكرها لا تشمل اصنام العرب
جميعها • فقد ذكر ابن الكلبي كثيرا غيرها في اصنامه • وابن حبيب في منقه ومحبره •
وياقوت في معجمه • وابن هشام في السيرة • كما نجد ذكرا للاصنام في اللسان

(٧٢) لمعرفة المزيد عن ود يمكن الرجوع الى معجم البلدان • مادة ود • الاصنام

ص ١٠ • ٥٥٥ • ٥٦٥ • السيرة م ١ • ص ٧٨ • المنق ص ٤٠٥ • ٤٠٦ • المحبر

ص ٣١٢ • ٤١٦ •

(٧٣) لمعرفة المزيد عن يغوث انظر المنق ص ٤٠٥ • ٤٠٦ • المحبر ص ٣١٤ • ٣١٧ •

معجم البلدان مادة يغوث • الاصنام ص ١٠ • السيرة م ١ • ص ٧٩ •

وتاج العروس وغيرها من المصادر القديمة • ولم يعتمد ابن سعد الى انتقاء الاصنام
انتقاء ، ولكنه فعل ما فعل لان سياق كتابه تطلب ذكر بعضها فهو في ترجمته للنبي
والصحابه والتابعين اتى على ذكر بعضها واقتل البعض الآخر وتجاهل شعائـر
لتلك التي ذكرها ، وذلك لانه لم يكن يتطلبها سياق كتابه • كذلك نـسـر
يذكر صنما اغفلته المصادر الاخرى ، وهو صنم هوانة ، ولم يكتف بذكره بل سـاق
لنا الشعيبة التي كانت تقام في احتفال له ، لان ما حدث اثناء تأدية تلك
الشعيبة تضمن بشرى بخرج النبي • وكثيرا ما ذكر عن هدم اصنام دون ذكر
اسمائها ، وكل ما عناه هو اسم الذي تكفل بالخلاص من الصنم وهدم حـصـاه
فهذا زياد بن لبيد يكسر اصنام بني بياضه ومعه وفرة بن عمرو (٥٨٠/٣) ، وقد
استوجب خبر زياد ذكر هذا الامر لما فيه من دلالة على حسن اسلامه وتخلصه
من وثنية الجاهلية وابتعاده عنها • وهذا ثعلبة بن عنتمة ومعه معاذ بن جبل
وهبد الله بن أنيس ، يتكفل جميعهم بأصنام بني سلمة فيدكونها (٥٨٠/٣) ، وسليط
بن قيس وابو صرمة يكسران اصنام بني عدي بن النجار (٥١٢/٣) والامثلة على
ذلك كثيرة •

ومهما بلغ عدد الاصنام التي وجدت عند العرب فانها لم تبلغ
العدد الذي قيل انه وجد حول الكعبة عند الفتح وهو ثلاثمائة وستون صنما

(١٣٦/٢) ولكن افترضنا ان هذا العدد مبالغ فيه فانه يوجي بالكثرة ويدل عليها . ولو جمعنا كل اسماء الاصنام التي ذكرتها المصادر التي بين ايدينا لوجدنا انها لا تبلغ عددا يقارب نصف العدد المذكور او ربعه . وقد نعزو ذلك الى احد امرين اولهما ان هتالك مصادر اخرى تكلمت عن الاصنام ولم تصلنا ، ولا نعرف بوجودها لانه لم يجر لها ذكر ولم يأخذ عنها احد وهذا احتمال بعيد . وثانيهما ، وهو الاحتمال الاقرب ، انه كانت لكل صنم صور متعددة وضعت في اماكن مختلفة ، فقد مر ما يشير الى ان الصنم كان مستقرا للاله ولم يكن الاله نفسه ، ومما يؤيد ذلك هو ما قالته المصادر الاخرى حول اللات واغفله ابن سعد فاللات ، كما ذكر ، كانت صخرة يلت عليها السوق ، حتى اذا مات اللات قيل للاعراب انه دخل الصخرة ، فقدست واصبح لها حمى (٧٤) .

واذا كان الامر كذلك ، فليس بمستبعد ان ان تكثر هذه الاصنام وتوضع في اماكن مختلفة لتكون منازل ترتادها الالهة . من هنا

(٧٤) انظر معجم البلدان ، مادة اللات ، ابن حجر ، التفسير " افرايتم اللات والعزى "

كان اهل المدر يحتفظون باصنام في بيوتهم (١٣٧/٢ ٢٣٧٥) (٣٩١/٧) ، وكذلك كان يفعل البدوي الا انه كان يلتقط حجرا ، اذا استحسنه ، ويضعه رمزا لربه او سكنا لاله (٢١٧/٤) حتى اذا وجد احسن منه شكلا رمى بالقديم ارضا واستبد له بالجديد . فلو كان يعتقد ان الحجر هو الاله ، لا تحتفظ به ولم يرمه و لكنه باستبداله حجرا بحجر احسن منه يكون قد وفر لربه منزلا افضل .

واذا قبلنا بهذه النظرية ، استطعنا تفسير الخلاف في الروايات حول مواضع بعض الاصنام . فهناك رواية تقول ان هبل كان في جوف الكعبة واخرى تقول وجاء الكعبة (٧٥) . وكذلك اساف ونائلة ، قيل انهما كانا في ساحة البيت قرب الكعبة ، وقيل انهما كانا بين الصفا والمروة (٧٦) . ولعل الروايات صحيحة على اختلافها ، اي انه كان هنالك صنم لهبل داخل الكعبة وآخر خارجها ، وصنمان لاساف ونائلة في الصفا والمروة ، وآخران حول البيت قرب زمزم . وما يرجح القول بتعدد الصور للصنم الواحد ما ذكر عند الفتح ، فقد ورد ان العزى ومناة وسواع وبوانة وذا الكفين كانت جميعها بين تلك التي

(٧٥) راجع ما كتب عن هبل .

(٧٦) راجع ما كتب عن اساف .

وجدت حول الكعبة وأمر النبي بكسرها (١٣٧/٢) (٣٨٠/٣) والمعروف
ان لكل صنم من هذه الخمسة المذكورة حصى في مكان معين آخر ، فالعزى
كان حماها بنخلة (١٤٦/٢) وكان لها صنم عند ثقيف بالطائف (٣١٣/١)
ومناة في المشلل (١٤٧/٢) وسواع في ارض هذيل (١٤٦/٢) ويوانسة
في هضبة بوانة (١٥٨/١) وذو الكئين في ارض دوس (٢٣٩/٤) فكيف
يمكن تأويل اجتماعها مع العديد غيرها حول الكعبة حين الفتح ؟ التفسير
الوحيد هو تعدد الصور للصنم الواحد ، او اتخاذ منازل مختلفة للصنم .
وكما قلنا احتفظت العرب باصنام في بيوتها تيمنا وبركة فليس بغريب ان يضعوا
اصناما اخرى حول الكعبة تقربا وزلفى ، او تعبيرا عن شكرهم لرب البيت .
وقد درجت العادة في اليمن ، كما اثبتت النقوش ، ان يتقدم احدهم بتقدمة
الى الاله تعبيرا عن شكره لمساعدته اياه ونصرته ، ونذكر على سبيل المثال النقش
(Jamme 635) او وفاء لنذر كما في النقش (Jamme 660)
وفي كلا الحالين كان الصنم ضمن التقدمة التي وضعت في حصى الاله . وكان
الاتصال بين اليمن والحجاز معروفا ، فليس ببعيد ان يتراكم في حصى الكعبة
اصنام كثيرة كان بعضها مما قدم تقربا من الله ، رب البيت ، وبعضها وفاء لنذر
وتعبيرا عن شكر ، وتكون صورا متعددة لاله من آلهتهم .

الفصل الثاني

الشعائر والمعتقدات والتقاليد الدينية الوثنية .

تقدم القول في الفصل السابق ان العرب عرفت الله وتقربت اليه من خلال الاوثان والاصنام التي كانت بمثابة شفعاء ووسطاء لهم عنده ، وان هذه الاصنام استأثرت بالعديد من الشعائر واصبحت مدار الكثير من العبادات ، ومن هذه الشعائر الحج والوفاء بالنذور والاستقسام بالازلام والذبح والمهدي ، ومن المعتقدات ، التي سيطرت على تفكيرهم ، الاعتقاد بالجن والشياطين والتصديق بالرويا ، ومن تقاليدهم الدينية غسل الميت قبل دفنه والزواج بعدد غير محدود من النساء والطلاق الابدي والاحتفال ببلوغ الصبية والفتيات . ولما كان الحج هو من اهم الشعائر فأنني سأفرد له بابا خاصا به ، واقصر حديثي في هذا المقام على الشعائر الاخرى .

النذور والايمان ،

1 -

النذور هي نوع من التقرب للاله ، والوفاء بها هو شكر للاله على ما أنعمه على عبده . وكانت العرب تنذر بتقديم القرابين . لذلك عندما قال ابو ميمونة بنت كردم للنبي انه نذر ان ينحر ببوانة سأله ان كانت وثنا او طافية

تعبد ، وفي رواية اخرى ان النبي سأل : هل عليها من هذه الاوثان شي ؟
قال لا . قال فأوف لله بما نذرت له ^(١) (٣٠٤/٨) وذلك لان العرب
درجت على الوفاء بنذورهما بالذبح للوثن على بوانة ، فاراد النبي ان يتأكد
من خلو المكان من الاوثان ، ومن بعد المسلمين عن شعائر الوثنية . وقد
ورد في موضع آخر ان كروم بن سفيان سأل النبي الاذن في نحر ابمسرة
ببوانة فقال له النبي : نذرت وفي نفسك شي من الجاهلية ؟ قال : لا والله
يا رسول الله . قال فانطلق فانحرها . (٥١٥/٥) ومن نذور الجاهليسة
نذر عبد المطلب حين كان يحفر زمزم فقد كان يحفر بالمعول ويغرف بالسحاة
في المكل فيحمله ابنه الحارث فيلقيه خارجا . ولم يكن معه احد يعينه الا ابنه
الحارث ، وتقاعست قريش عن مد يد العون له ، فنذر لثن بلخ اولاده العشرة
ليذبحن ائحدهم لله قربانا ^(٢) (٨٣/١ - ٨٤) . ومن النذور —
كان عهدا يقطعه الانسان على نفسه بأن يقطع عن الطعام او الشراب او حتى
عن الكلام ^(٣) حتى يتم له ما يريد . من ذلك ما فعلته ام عامر بن ابي وقاص ،
حين بلغها نبأ اسلام ابنها عامر ، فقد نذرت لله الا يظلمها ظل ولا تأكل
طعاما ولا تشرب شرابا حتى يدع عامر العباوة (١٢٤/٤) .

(١) معجم البلدان ، مادة بوانة .

(٢) السيرة م ١ ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٣) ابن حجر ، الجزء الثامن ص ١٤٩ الحاشية .

وفي هذين المثالين اللذين أوردهما ابن سعد عن نذور الجاهلية ،
كان نذر عبد المطلب لله ، وكان عهد أم عامر ونذرها لله ، ولم يكن لصنم من
الاصنام . ولا نستطيع القول بأن النذور كانت جميعها لله رب الكعبة ولكن
بوسعنا الجزم بأن بعضها كان له عز وجل دون غيره من آلهة العرب .

وكانوا يقسمون بآلهتهم ^(٤) ، وكقسم أبي لهب في حديثه مع النبي حين
أراد حمايته بعد موت أبي طالب : " لا والللات لا يوصل اليك حتى أموت " .
(٢١١ / ١) . ^{رضنه} و ^{وجهه} ما حلف به قبل وقعة بدر ، " والللات والعزى لا أخرج ولا
أبعث أحدا " (٤٤ / ٨) . ومنهم من أقسم بالنجوم كأم مصعب بن عمير ، فقد
قالت حين عرض عليها ابنها مصعب الاسلام : " والثواقب لا أدخل في دينك " .
(١١١ / ٣) . ومنهم من أقسم برب الكعبة (٤١ / ٣) .

٢ - الآلام :

كان العرب يستقسمون بالآلام إذا كان لهم أمر يريدونه ولا يدرون ما
الامر فيه ، وكانوا يلجأون اليها في النكاح والسفر والانتساب والميسر وغير ذلك ،

(٤) يبدو من كلام ابن حبيب ان القسم اذا تم امام صنم اتخذ صبغة اقوى .
فهذا العاص بن وائل تحلف عند اساف حين تولى حمل اللواء ، فحلف عنده ،
اي عند الصنم ، الا يقرأ او يموت . انظر المنقح ص ١٣١ .

وكانوا يجلبون القداح ويطلبون من السادن ان يسحب القدح ويرضون بما يخرج .
من ذلك ما فعله عبد المطلب حين اراد الوفاء بنذره . فعندما بلغ ابنائه
العشرة وجب عليه ان يضحي بأحدهم وفاء للنذر ، فقال لابنائه : " ليكتب كل
منكم اسمه في قدحه " ففعلوا ، فدخل عبد المطلب في جوف الكعبة وقال للسادن :
" اضرب بقداحهم " . فخرج قدح عبد الله ، وفرضي بالامر (٨٩ / ١) ويقول
ابن هشام ان عبد المطلب دخل على هبل في جوف الكعبة لسحب القداح (٥) .
لان القداح كانت عند هبل .

وكانت القداح تستعمل لمعرفة الانصاء ، فعندما حفر عبد
المطلب زمزم واستخرج غزالا وسيوفا قلعية ، ضرب عليها بالقداح فخرجت للكعبة
فجعل صفائح الذهب على بابها (٦) (٨٥ / ١) ويفصل ابن هشام في الرواية

(٥) السيرة م ١ ، ص ١٥٢ ، ١٥٤ ، لمعرفة المزيد عن الاستقسام بالازلام انظر
المعجم الاصنام ، ص ٢٨ ، ص ٤٧ ، ومعجم البلدان ، مادة هبل ، مادة الخلصة ،
المحبر ، ص ٣٣٢ - ٣٣٥ .
(٦) السيرة ١٣ ، ص ١٤٦ ، وانظر المنق لاختلاف عدد القداح والوانها ص ٤١٥ -
٤١٦ .

فيقول ان قريشا ارادت نصيبا ما وجد عبد المطلب ، فانفقوا ان يحكموا
القداح ، فجعلوا قدحين اصفرين للكعبة وقدحين أسودين لعبد المطلب
وقدحين ابيضين لقريش . ثم اعطوا القداح صاحب القداح الذي يضرب
عند هبل .

ولم يكونوا جميعا مستعدين لقبول ما يخرج لهم من امر عند
ضرب القداح ، فيجبلونها ثانية وثالثة ، فمنهم من رضي بالحكم ومنهم من
تحداه . (٧) فاما عبد المطلب ، فقد رضي اول الامر بذبح ابنه عبد الله ،
ثم عندما ثارت اخواته وقالت احداهن ، اعذر فيه بأن تضرب في ابلك الموائم
التي في الحرم ، قال للسادن اضرب عليه بالقداح وعلى عشر من الابل . . .
واخذ يزيد حتى بلغت المائة ، فتحرها (٨٩ / ١) ورضي بالامر . في حين
ان سراقه بن مالك ، رفض حكم الازلام ، فقد استقسم اخرج في طلب النبي ام لا
يخرج ، فكان يخرج له الا يخرج ثلاثا ، فتحدى الحكم وركب ليلحق بالنبي
(١٨٨ / ١) .

(٧) انظر قصة ابي مسكين مع ذي الخلصة في الاصنام ، ص ٤٧ ، وينسب ياقوت
القصة الى امرئ القيس ، معجم البلدان مادة الخلصة ، واما ابن هشام فيقول
انه رجل من العرب ولم يسمه ، السيرة ١ ، ص ٨٦ .

ويبدو ان الاستقسام بالازلام امر يعود الى زمن يسبق ايام النبي بامد طويل ، فقد روى ابن سعد ان الكعبة حوت صوراً محاها عمر بن الخطاب زمن الفتح (١٤٢/٢) ولكنه لم يبين ماهية هذه الصور ، ولكن ابن هشام يقول ان احدى هذه الصور كانت تبين ابراهيم عليه السلام وفي يده الازلام يستقسم بها ، فقال النبي : قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالازلام ، ما شأن ابراهيم والازلام ^(٨) في حين ان ابن حجر يقول ان الصورة تبين ابراهيم واسماعيل وفي ايديهما الازلام ^(٩) . ورواية ابن حجر وابن هشام تدل على ان الاستقسام امر نسبته العرب الى ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، ومن هنا اتخذ صبغته الدينية .

وكانت القداح تنحت في حجرة زمزم ^(١٠) (٧٣/٤) وتحفظ لدى سادن الوثن لحين الحاجة . والاستقسام نوع من الاستشارة الغيبية او هو تنبؤ بما سيحدث ان اقدم احدهم على عمل معين .

(٨) السيرة م ٢ ، ص ٤١٣ .

(٩) ابن حجر ، المغازي - غزوة الفتح اول رمضان .

(١٠) السيرة م ١ ، ص ٦٤٧ .

٣ — التقدمات والنحر والقرايين والهدي :

كانت العرب تتقرب للاصنام بتقدمات شتى كأن تهدي لها هدايا
توضع في خزائنها ، او تنحر لها القرايين او تقدم لها الهدى من الابل
يسرح في حماها . والتقدمات هذه كانت اما وفاء لنذر ، واما طلبا للحماية
ودرا للشر ، واما جزاء من شعيرة تقام في زمن معين لاله معين .

ومن التقدمات العينية التي كانت تحفظ في خزانة الاله او الالهة

عتاد حربي كالادراع وكالسيوف التي وجدت في خزانة الفلس ، وهي رسوب والمخدم
واليمني ، وقد وجدت جميعها في خزانة الاله عند هدمه ^(١١) (١٦٤/٢) ،
ومنها الحلبي كالتى كانت تقدم للات ^(١٢) ، وقد سمع النبي لابي مليح بن
عروة ^(١٣) ، وكان من ثقيف ، ان يقضي منها ديننا كان على ابيه وقد بلغ
مائتي مثقال ذهبا (٥٠٥/٥٠) ومن التقدمات ما كان في ارض الكعبة ^(١٤)

(١١) راجع معجم البلدان ، مادة الفلّس ، السيرة م ١ ، ص ٨٢ ، الاصنام ص ٦١ —

• ٦٢ •

(١٢) السيرة م ٢ ، ص ٥٤٢ ، ولتقدمات ذي الخلصة انظر ابن حجر ، كتاب المغازي ،
الحاشية •

(١٣) السيرة م ٢ ، ص ٥٤٢ •

(١٤) يقول ابن اسحاق وياقوت ان تقدمات الكعبة كانت توضع في بئر في داخلها انظر
معجم البلدان مادة الكعبة والسيرة م ١ ، ص ١٩٣ •

وقد سرق منها حلية وفزال من ذهب كان عليه در وجوهر (١٤٥ / ١) ولعلها كانت مقدمة لله رب البيت او لعلها قدمت لهبل الذي قيل انه كان منصوبا في الكعبة .

اما القرابين فقد كانت تقدم للاصنام فتتحر على منحورها وكان لبعضها منحرا خاص (١٥) كالذي كان لاساف ونائلة والى ذلك المنحرساق عبد المطلب ابنه ليذبحه كما يقول ابن اسحاق (١٦) . وما يؤكد هذا القول ان عبد المطلب حين اتي في المنام وأمر بحفر زمزم قيل له : " ... هي بين الفرث والدم " عند نفرة الغراب الاعصم " وكان غراب أعصم لا يبيع عند الذبائح مكان الفرث والدم (٨٣ / ١) ، ويقول ابن اسحاق ان قريشا قامت لعبد المطلب وقالت : والله لا نترك تحفر بين وثنينا هذين اللذين نتحر عندهما (١٧) ، فكان الموضع بين الفرث والدم هو عند الصنيين اساف ونائلة (١٨) .

(١٥) انظر اللسان مادة غبغب .

(١٦) السيرة م ١ ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(١٧) السيرة م ١ ، ص ١٤٦ ، يقول ابن حبيب انه موضع نصب خزاعة انظر المنق ص ٤١٥ .

(١٨) السيرة م ١ ، ص ١١٠ - ١١١ ؛ معجم البلدان مادة زمزم واساف والاصنام ، ص ٢٩ .

والاصنام التي كانت تنحر عندها العرب بوانة — فقد كانت قريش تنسك
له النساءك^(١٩) (١٥٨ / ١) — وسواع (١٦٢ / ١) وغيرها • وكان
النحر لبوانة يتم وفاء لنذر ، لذلك سأل النبي كردم ان كان قد نذر وفسي
نفسه شيء من امر الجاهلية (٥١٥ / ٥) او كان جزءا من شعيرة تقام في يوم
معين في السنة (١٥٨ / ١) وما ذكره ابن سعد عن بوانة ينطبق على
بقية الاصنام وان لم يأت على ذكره ولكن مصادر اخرى ذكرت ذلك .^(٢٠) ولكنه
يذكر ان نساء مكة احتفلن في عيد كان لهن في رجب فلم يتركن شيئا من اكبار
ذلك العيد الا أتينه (١٥٨ / ٨) ، والمعروف ان الرجبية هي الذبيحة في رجب ،
فلعل هذا العيد الذي ذكره ابن سعد وقال عنه ان النساء فيه لم يتركن
شيئا من اكباره الا أتينه ، هو من الاعياد التي كان يتم فيها الترجيب والنحر^(٢١) .

(١٩) وهي الذبائح انظر اللسان مادة نسك •

(٢٠) السيرة م ١ ، ص ٢٢٢ ، اللسان مادة رجب ، الاصنام ، ص ١٣ ، ١٨ ، ١٩ •

(٢١) اللسان مادة رجب •

وكانوا ينحرون لاصنامهم اذا ما شعروا ان آلهتهم غضبي * وتكون
علامة غضبها تغيرا في العوامل الطبيعية * من ذلك ما حدث عندما ظهرت لهم
النيازك التي تتساقط والتي قيل انها كواكب رمت بها الجن * ففزعوا * وكان اولهم
اهل الطائف فجعلوا يذبحون لآلهتهم من كان له ابل او غنم لاسترضائها (١٦٢/١) .

وكان الذبح يتم على الصنم كما يقول ابن سعد (١٥٨ / ١ / ١٦٢)
واعتقد ان ابن سعد عنى بذلك تلطيخ الصنم او النصب بالدماء وهو ما كان
متبعاً آنذاك لما فيه من تلاصق بين الصنم والقربان ^(٢٢) ، وفي تماس الدم تثبيت
للعهد الذي يربط الانسان بالهة * وتوثيق للروابط بينهما * لذلك عندما
اراد الاحلاف ان يثبتوا حلفهم ويغفروا عليه صفة القدسية غمسوا ايديهم في جفنة
ولعفروا
تحتوي دماً/اصابعهم حتى سموا بلعقة الدم (٧٢ / ١) .

ولم تكن القرابين تقتصر على حيوان دون آخر من الحيوانات الاليفة التي
يأكلون من لحومها . فقد ذكر ان بني غفار قربوا عجلاً لبعض اصنامهم (١٥٨ / ١) *
والهذليين قدموا لسواع بقرة سمينة (١٦٢ / ١) . في حين ان فريقاً من النهديين

(٢٢) انظر سميث ص ٢٠٥ .

نحروا لصنمهم جزرا (١٧/٧) . من هنا يظهر ان القرابين كانت من الحيوانات التي يعنون بتربيتها ، لا من تلك التي كانوا يصطادونها كالغزلان وقر الوحش . وكانت الانصاب ، وهي حجارة منصوبة ، يعترون عندها ^(٢٣) ومنها ما كان حول الكعبة تنصب فيهل عليها ويذبح لغير الله تعالى ^(٢٤) ، وكانوا يأكلون من لحم القرابين التي كانوا يذبحونها لا لاهتهم ، لذلك ناشد خبيب موهبا ان يجنبه ما ذبح على النصب (٥٦/٢) ورفض زيد بن عمرو بن نفيل سفرة النبي ، قبل بيعته ، وقال : اني لا آكل مما تذبحون على انصابكم ولا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه ، (٣٨٠/٣) (دلالة على ان الذبائح كانت تهدى للاصنام) .

ولم يعرف عن الجاهليين حرق القرابين للالهة ، وكل ما ذكر عنها كان عن طريق النحر والذبح . كما لم يبلغ عن تقديم القرابين البشرية ، وكل ما ذكر حول هذا النوع من التقدمة كان نذر عبد المطلب يذبح احد ابنائه اذا ما بلغوا عشرة . وعندما فداء وخرجت القداح على مائة

(٢٣) الاصنام ، ص ٤٢ .

(٢٤) اللسان مادة نصب .

من الابل ، كبر عبد المطلب وكبر الناس من حوله ، ولعل ذلك يعود الى
ان تقديم الضحايا البشرية لم يكن امرا مألوفا . وعندما تم نحر الابل ، خلى
عبد المطلب بينها وبين كل من وردها من انسي او سبيع او طائر ، ولم يأكل
منها هو ولا احد من ولده شيئا (٨٩/١) وذلك لان نذره كان
لله رب البيت وما حوله . فجعل للحيوان والطير نصيبا كصيب الانسان .
ومن التزلف للآلهة والتقرب اليها ، كما ذكرنا ، الهدي ويقول ابن منطور ان الهدي
كان ما اهدي الى مكة من النعم (٢٥) . وعندما توجه النبي مع صحبه سنة
ست للهجرة لقضاء العمرة ، توقف في الحديبية وارسلت له قريش سيد الاحابيش ،
وكان يتأله ، فنظر الى الهدي فعرفها لما عليها من القلائد التي اكلت اوارها
فرجع الى قريش لساعته (٩٦/٢) . وكان هدي النبي وصحبه لتتحر في مكة .
اما عبد المطلب فلم ينحر هديه لرب البيت حين استرد ابله من ابرهه . بل
سرحها وشها في حرم الكعبة لتكون ملكا لله حامي الحمى ، (٩٢/١) فان اصابها
احد بسوء استوجب نقمة الاله اي انه اذا ما هجم ابرهة على الكعبة اصاب
الهدي فيغضب رب الحرم وينتقم منه بان يرسل عليه انواع العذاب ويصده عن البيت .

(٢٥) اللسان مادة هسدي .

ويبدو ان صاحب الهدى كان يحق له ان ينحر هديه قربانا • فقد ورد في كلام احدى بنات عبد المطلب لابيها حين اراد ذبح عبد الله : أعذر فيه بأن تضرب في اهلك السوائم التي في الحرم (٨٩/١) فان كانت هي الابل نفسها التي كان قد سرحها حين استردها من ابرهة ، يكون من حق صاحب الهدى ان ينحرها ويقدمها قربانا أنى شاء •

وكانت الطريقة المتبعة في الهدى ، ان يتم اولا انتقاء البدن لتكون هديا ، ثم تقلد بالنغال وتشعر في شق واحد • وكان النبي قد أشعر هديه في الشق الايمن (٩٥/٢) • ولو لم يتبع النبي في هديه ما كان متبعاً في الجاهلية عند العرب ، لما عرفها سيد الاحابيش حين وقع نظره عليها (٢٦) •

٢ — بعض المعتقدات العامة :

١ — الجن :

الجن قوة غيبية خافتها العرب ، وقدمت لها ضروب الولاء ، واعتقدت انها

(٢٦) لمعرفة امر البحيرة والسائبة والحام انظر المحبر ص ٣٣٠ — ٣٣١ والمنق

ص ٣٥٤ •

تخرج في الظلام وتمارس قوتها السحرية ضد كل من يتعرض لها بأذى (٢٧) ،
 لذلك كانوا اذا ما أمسوا في مكان منقطع استعاذوا بعزير ذلك المكان
 من الجن خوفا منه وطلبوا لحمايته (٢٨) ، كما فعل ابو رجاء العطاردي وصاحبه
 (١٣٨ / ٧ - ١٣٩) ، فعزير الوادي الذي استجار به العطاردي هو
 رب الوادي الذي يحمي أرضه من كل معتد ، لان من تعدى على حماه استوجب
 العقاب ، وهي العقوبة العربية نفسها التي دعت عبد المطلب لان يقف امام
 الكعبة حين اراد ابرهة غزو الكعبة ويقول :

لا هم ان المرء يـمـ ————— نع رحله فامنع حلالك
 ان كنت تاركهم وقبـ ————— لتنا فامر ما بدالك (١٢/١)

وهذا يعود بنا ثانية الى معتقد العرب حول آلالهة ، لقد اعتقدوا
 ان لكل اله دائرة يمارس ضمنها سلطته ، فلم تكن آلهتهم موجودة في كل مكان (٢٩) ،

(٢٧) قصة بني سهم وقتل الحيات - انظر المنقح ص ١٢١ - ١٢٢

(٢٨) السيرة م ١ ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦

(٢٩) سميث ص ١١٤ .

وقصر تفكيرهم عن شمولية المقدرة الربانية ، فآله في الكعبة وما حولها ولكل
وثن حمى . والسافر الذي يبتعد عن حماه لا تبلغه رعاية الله ، لذلك
عليه ان يلجأ الى رب ذلك المكان .

وقد بلغ من اهتمام العرب بالجن ان قال ابن الكلبي
ان بني مليح من خزاعة عبدوا الجن ^(٣٠) وربما لم يكن الامر كذلك ، وانما
هو خوف من قوة غامضة اعتقدوا انها تملك القوة على الانتقام . وقد جاء
في التنزيل : " وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادهم
رهقا " ^(٣١) (١٣٩ / ٧) ، وقال ابو رجاء العطاردي انها ربما نزلت فيه
وفي اصحابه .

٢ - العيافة والطرق والطيبة :

كانت العرب تعيف الطير اي تزجرها ، وزجر الطير هو الاعتبار
باسائها ومساقطها وأصواتها فيتفألون بذلك او يتشاءمون وقيل ان بني أسد

(٣٠) الاصنام ص ٣٤

(٣١) سورة الجن / آية ٦

كانوا يذكرون بالعيافة ويوصفون بها . وقد جاء في الحديث الشريف : " العيافة والطيرة والطرق من الجبت " (٣٢) وقد ورد هذا الحديث عند ابن سـعـد بصورة تختلف قليلا فقال : عن ابن قبيصة عن ابيه انه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان العناقة والطرق والطيرة من الجبت (٣٥٨٧) ولكن صاحب اللسان اورد كما في صيغة ابي داود (٣٣) . واغلب الظن ان كلمة العناقة كما وردت في الطبقات مصحفة ، لانه ليس هنالك من علاقة بين العناقة والطيرة والطرق ، وفي حين ان الطيرة تتعلق بالعيافة ، فقد كان من شأن العرب عيافة الطير وزجرها ثم التطير بيارحها ونعيق غرابها واخذها ذات اليسار اذا اثاروها (٣٤) .

اما الطرق ، وهو ايضا نوع من الاستشارة الغيبية ، فقد اختلفت فيه الاقوال ، فمن قائل ان الرجل يخط في الارض باصبعين ، ثم باصبع ويقول :

(٣٢) سنن ابي داود ، حققه وعلق عليه محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة

السعادة ، مصر ، الطبعة الثانية ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م ، كتاب الطب - ٢٣ .

(٣٣) انظر اللسان مادة جبت ، مادة عيف ، مادة طرق .

(٣٤) اللسان مادة طير .

أبني عيان ^(٣٥) ، أسرها البيان • وقيل أن يخلط الكاهن القطن بالصوف ، ويتكهن ، وقيل أنه الضرب بالحصى الذي تفعله النساء ^(٣٦) • والاختلاف في الطرق دليل على أن هذه الوسائل الثلاث استعملت عند العرب ، ولربما لجأت كل فئة إلى وسيلة تستطلع بها الغيب وتستشير قبل الإقدام على عمل معين ، مثلها كمثل الزجر ، فتطير من عمل وتتفأل بآخر •

الروءيس :

- ٣ -

وهي أيضا نوع من كشف الغيب ، لذلك كانوا يسمون الروءيا تنبؤا ، فعندما تحدث الناس بروءيا عائكة ، قال أبو جهل : " يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن تنبأ رجالكم حتى تنبأ نسلؤكم ؟ زعمت عائكة أنها رأت في المنام كذا وكذا ، فسنترى بكم ثلاثا فإن يكن ما قالت حقا والا كتبنا عليكم أنكم أكذب أهل بيت في العرب " (٤٤ / ٨) • وكانت عائكة قد رأت روءيا أفزعتهما واشفقت منها • ويقول صاحب السيرة أن أبا جهل قال : " يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية " ^(٣٧) • وقد اعتقدوا بالروءيا وصدقوها ، لذلك قدم ضمام ^{عندما}

(٣٥) وقيل هما طائران والخطان يرسمان لزجر الطير ، اللسان مادة عين •

(٣٦) اللسان مادة طرق •

(٣٧) السيرة م ١ ، ص ٦٠٨ ، المنقح ص ٤١٩ - ٤٢٠

ابن عمرو يستنفر قريشا للخروج قبل موقعة بدر رفض ابو لهب وقال : " واللوات والعزى لا اخرج ولا ابعث احدا " وما منعه الا اشفاقا من رؤيا عاتكة (٤٤/٨) . وقد اعتقدوا ان الرؤيا الصحيحة من الله ، لذلك وصـفـ ابو جهل عاتكة بالنبوة . كذلك عندما اتى عبد المطلب في المنام مرات واخبر عن زمن (٨٣/١) ويقول ابن اسحاق انه عندما اتى اول مرة قال لقريش : " تعلمون اني قد أمرت ان احفر لكم زمن " قالوا : " فهل بين لك اين هي ؟ قال : " لا " . قالوا : " فارجع الى مضجعتك الذي رأيت فيه ما رأيت ، فان يك حقا من الله يبين لك ، وان يك من الشيطان فلن يعود اليك " (٣٨) . ومن الرؤيا التي صدقتها العرب رؤيا رقيقة ، وخبرها انه تتابعت على قريش سنون اذهبت اموالهم ، فسمعت رقيقة قائلا يقول في المنام : " يا معشر قريش فتطهروا وتطيبوا ثم استلموا الركن ، ثم ارقوا رأس أبي قبيس " فأصبحت نقصت رؤياها عليهم ، ففعلوا ما أمرتهم به (٣٩) (٨٩/١ - ٩٠) . وامثال قريش لما رآته رقيقة والعمل به ، وامتناع أبي لهب عن الخروج اشفاقا من رؤيا عاتكة دليل على تصديقهم بالرؤيا دون تفريق بين رؤيا الرجال منهم والنساء .

(٣٨) السيرة م ١ ، ص ١٤٥

(٣٩) المنق ص ١٦٦ - ١٦٨

٤ - الشياطين :

اعتقدت العرب بوجود الشياطين وهي التي كانت تلهم الشاعر
وتعين الكاهن وتأتيه بالآخبار وتبين له الغيب وسنأتي على ذكرها عند
الكلام عن الكهانة والكهان .

٥ - البعث :

كان بعضهم يؤمن بالبعث ، فإذا مات منهم رجل عمدوا
إلى راحلته التي ركبها فواقفوها على قبره منعكوسة رأسها إلى يدها ملفوفة
الرأس في وليتها ، فلا تعلق ولا تسقى حتى تموت ليركبها إذا خرج من
قبره . وكانوا يقولون ، إن لم يفعل هذا ، حشر يوم القيامة على رجله . وكانت
تلك الناقة التي يفعل بها هذا تسمى البلية (٤٠) ، وجمعها بلايا ، وهي
التي عناها عير بن وهب الجمحي حين قتل راجعا لقريش قبل وقعة بدر
وقال : " يامعشر قریش البلياء تحمل المنايا " (٤١) (١٦ / ٢) أي أنه
رأى أباهم وكأنها البلياء دلالة على موت أصحابها ، ولعل إيمان بعض العرب

(٤٠) المعبر ص ٣٢٢ - ٣٢٣ ، اللسان مادة بلا ، السيرة م ١ ، ص ٦٢٢ الحاشية .

(٤١) السيرة م ١ ، ٦٢٢ .

بالبعث بقية اخرى من بقايا دين ابراهيم الحنيف .

٣ - التقاليد والممارسات الدينية الوثنية :

١ - الموت وشعائر الدفن :

كان العرب اذا مات احدهم غسلوه قبل دفنه (٤٢) ،
فعندما مات ابو لهب ، وكان قد اصاب بالعدسة ، وكانت قريش تتقي العدسة
وعداها كما يتقي الناس الطاعون ، تركه ابناء ليلتين او ثلاثا ما يدفنانه ،
حتى اُتت في بيته ، فقال لهما رجل من قريش : " ويحكما الا تستحيان
انطلقا فانا معكما " . وذكر ابن سعد انهم ما غسلوه الا قدنا بالماء عليه
من بعيد ما يسونه (٧٤/٤) .

وكانوا ينعون ميتهم ويؤذنون بجنازته ، لذلك قال علقمة
بن قيس للاسود وعمر بن ميمون قبل موته : " لا تؤذنا بي احدا فأنهـا
نعي الجاهلية او دعوى الجاهلية " (١٢/٦) ، وهذا هو ايضا ما اوصى
به ابو ميسرة ان قال : " لا تؤذنوا بجنازتي احدا كدعاء الجاهلية " . ويبدو
من هذين القولين انهم ، اي الجاهليون ، كانوا ينعون بكلام خاص ويدعون بدعاء

خاص بموتاهم ، ولعلمهم كانوا يتبعون الجنازة بنار ، فان عبد الله بن المغفل اوصى
فقال : " لا تتبعوني بنار " (١٤ / ٧) (١١ / ٧) يريد ان يبتعد عن
تقليد جاهلي .

٢ - الوَاد :

كان بعض العرب يثدون بناتهم خشية الاملاق (٤٣) ، فقد
روي ان زيد بن عمرو بن نفيل كان يحسي المؤودة وذلك بأن يأتي الرجل
الذي يريد قتل ابنته ويقول : " مهلا لا تقتلها انا اكفيك مؤودتها " (٣٨١ / ٣) .
وجاء في التنزيل : " ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم " (٤٤)
ولعل العرب اتبعت طريقة الواد حتى لا يراق دم المؤودة فيسيل على الارض
فتودي (٤٥) .

٣ - الزواج والطلاق :

لم يكن الزواج في الجاهلية محدودا بعدد معين من النساء ،
فقد ذكر ان غيلان بن سلمة كان عنده عشر نسوة عندما أسلم فقال له النبي ، صلعم ،

(٤٣) المنق ص ٤١٧

(٤٤) آية ٣١ / سورة الاسراء

(٤٥) انظر قصة الزباء وجذينة .

" اختر منهم اربعة " (٥٠٦ / ٥) . وذكر ابن حبيب اسماء خمسة رجال
غيلان سادسهم ، كان عند كل واحد منهم عشر نسوة عندما اسلموا (٤٦) . وكان
الرجل في الجاهلية أحق بامرأة ابيه اذا مات عنها زوجها ولم تكن امه
(٣٨٥ / ٤) . وينصل ابن حبيب في هذا الامر فيقول ، ان الابن الاكبر
هو الذي يرث زوج ابيه فيقيم ويلقي عليها ثوبه ، ولكن اذا لم يكن له حاجة
فيها تزوجها بعض اخوته بمهر جديد (٤٧) .

وكان الطلاق معروفا عندهم (٤٨) . واشد انواعه ان يقول
الرجل لامرأته : " انت علي كظهر امي " امعانا منه في تحريمها على نفسه وبذلك
تحرم عليه آخر الدهر (٤٩) (٣٧٩ / ٨) .

٤ - التبني :

يبدو ان التبني كان امرا متعارفا عليه في المجتمع الجاهلي ،
وكان يتم الاعلان عن ذلك امام شهود فيحق للمتبنى ان يتمتع بكل حقوق الابن

(٤٦) المحبر ، ص ٣٥٧ ، سنن ابي داود ، كتاب الطلاق .

(٤٧) المحبر ، ص ٣٢٥ - ٣٢٦

(٤٨) المحبر ، ص ٣٠٩

(٤٩) اللسان مادة ظهر .

الحقيقي بما في ذلك الوراثة في حالة الوفاة ، فزيد بن حارثة كان ينسب الى النبي محمد فيقال زيد بن محمد ، وذلك بعد ان تبناه النبي حين فُصل زيد صحبته على الالتحاق بابيه . وقد أشهد النبي الحضور على ذلك فقال : " يا من حضر اشهدوا ان زيدا ابني ارثه ويرثني " (٤٢/٣) واستمر زيد ينسب الى النبي حتى نزلت الآية : " ادعوهم لآبائهم " (٥٠) وهكذا نسخ الاسلام التبني الذي عرف في الجاهلية . ومن الحالات الاخرى (٥١) التي عرفت تبني الاسود بن عبد يغوث الزهري للمقداد ، فكان يقال له المقداد بن الاسود (٥٢) حتى نزلت " ادعوهم لآبائهم " فنسب الى ابيه فقيل المقداد بن عمرو (٤٣/٣) .

• الاحتفال ببلوغ الصبيّة والبنات :

كان يتم الاحتفال ببلوغ الصبية مبلغ الرجال ، في دار الندوة التي ابتناها قصي ابن كلاب في مكة ، وفيؤتى بالصبي ليعذر ، أي يختن (٧٠/١)

(٥٠) آية ٥ / الاحزاب

(٥١) انظر المنق ، ص ٣١٣

(٥٢) المنق ، ص ٤٥٤

ويتم ذلك بين العاشرة والخامسة عشرة من سني حياته (٥٣) .

أما البنت ، وكان يؤتى بها أيضا الى الدار ، فيشقى عنها

درعها الذي كانت تلبسه وهي بعد صغيرة (٥٤) (٧٠ / ١) ، وهذا

ايدان باكمال انوثتها وانتقالها من مرحلة اللعب الى مرحلة تشارك فيها

الكبار حياتهم .

وعادة الاحتفال بانتقال الجارية والصبي من مرحلة الطفولة

الى مرحلة الشباب لم تقتصر على العرب ، بل هي معروفة في ثقافات قديمة

اخرى . ولكن اين كانت هذه الشعيرة تجرى قبل بناء قصي لدار الندوة ؟ لعله

كان يجرى في مكان مقدس .

٦ — التطهر بالاغتسال :

من عادة العرب الا يتوجهوا الى ربهم الا وهم طاهرون ،

فكانوا يغتسلون من الجنابة (٥٥) . وفي رواية رقيقة انها سمعت في المنام

(٥٣) اللسان مادة عذر

(٥٤) السيرة م ١ ، ص ١٢٥ ، المنق ، ص ٢٢٢

(٥٥) الحبر ، ص ٣١٩

من يقول لها : " تطهروا وتطيبوا ثم استلموا الركن ثم ارقوا رأس ابي
قبيس " (١٠ / ١) ففعلوا قبل ان يتوجهوا الى ربهـم بالدعاء * وفي خبر
ذي الشرى دليل على اقتـسـالهم للتطهر (٥٦) .

٧ - تعظيم الاشهر الحرم :

كانت الاشهر الحرم هي محرم ورجب وذو القعدة وذو
الحجة * وهي اشهر عظمتها غالبية العرب وحفظت لها حرمتها - وان كان
منهم من احلها كبني غفار (٥٧) (٢١٩ / ٤) - فكانوا لا يقتلون فيها،
وان أرادوا قتل احد حبسوه حتى تخرج الاشهر الحرم ثم قتلوه ، وهذا
ما فعله اهل مكة مع زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي ، فقد حبسوهما حتى خرجت
الاشهر الحرم ثم اخرجوهما الى البقيع فقتلوهما (٥٦ / ٢) (٣٠١ / ٨) *
وفي العاشر من ذي الحجة كانوا يتحالفون (٥٨) - بعد ان يكونوا قد تواعدوا
لذلك قبل العشر (١٠٣ / ٤) - توكيدا للحلف وتثبيتا للمعهد الذي يأخذونه
على انفسهم .

(٥٦) انظر الفصل الاول مادة ذي الشرى

(٥٧) يقول ابن حبيب ان طيـثا وخثعم كانوا يحلونـها انظر المحبر ص ٣١٩

(٥٨) انظر المنقـص ص ٢١٨ - ٢١٩

٨ - الحلف والعهد :

ذكرنا ان الحلف كان يتم في شهر ذي الحجة ، الشهر الحرام ، وتوثيقا له ، وحتى يتسم بشيء من القدسية ، كان يتم احيانا في مكان مقدس . ولنا مثل في حلف المطيعين ، فقد اخرجوا جفنة مملوءة طيبا ووضعوها حول الكعبة ثم غسوا ايديهم فيها وتعاهدوا وتحالفوا ومسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على انفسهم . اما الاحلاف ، وهم بنو عبدة الدار ومن معهم ، فقد غسوا ايديهم في جفنة دم ولعقوها (٥٩) (٧٧/١) وبذلك ارتبطوا برباط هو نوع من قرابة الدم التي لا تنفص .

هذا وقد درجت العرب على تعليق عهودها المهمة في جوف الكعبة تأكيدا لهذه العهود وتوثيقا لما جاء فيها ، من تلك التي علقت صحيفة قريش في مقاطعة بني هاشم (٦٠) (٢٠٩/١) .

(٥٩) انظر المنق ، ص ٢٢٣

(٦٠) السيرة م ١ ، ص ٣٥٠ .

• وكان الدين يشكل نوعاً من التحالف والتماصك (٦١)
ويتضح هذا ويغهم من قول أبي الحيسر • وقصته انـــــــــــــــــه
قدم مع فتية آخرين من بني عبد الاشهل الى مكة للعمرة ،
وطلبوا حلف قريش ضد الخزرج • فأتاهم النبي ، صلعم ،
ودعاهم الى الاسلام ، فقال احدهم ، وهو ايباس بن معاذ :
" يا قوم ! هذا والله خير مما جئتم له " • فاجابه ابو الحيسر ،
الحارث بن انس : " انا خرجنا نطلب حلف قريش ، فنرجع بعداوة قريش ؟ "
• (٤٣٧ / ٣ - ٤٣٨)

• وفي قول ابي لهب لا روى بنت عبد المطلب دليل آخر على ما ذكرنا
فحين سأله ان يقوم دون ابن اخيه ، قال : " ولنا طاقة بالعرب قاطبة ؟ "
جاء بدين محدث " (٤٣ / ٨) •

الفصل الثالث

الحج الى الكعبة وشعائره

ذكرت في الفصل السابق ان الحج شعيرة كانت تقم بها العرب ،
واقصد بذلك الحج الى مكة ، لانه ان كان هنالك حج الى مكان آخر ، فهو
خارج عن نطاق هذا البحث ، لان حج مكة كان هو المتعارف عليه بين غالبية
العرب - وهذا ما دعا ابرهة الى محاولته ثني اهل اليمن عن اداء هذه
الشعيرة - ولان ابن سعد لم يتعرض لحج سواء • ولعل اتفاق معظم العرب
على اداء هذه الشعيرة يعود الى انها بقية من دين ابراهيم ، فقد قال
ابن اسحاق وابن الكلبي ، بأن العرب بقي " فيهم بقايا من عهد ابراهيم
يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة
والمزدلفة مع ادخالهم ما ليس منه " (١) وفي قصة اساف وثائلة
دلالة على ان الحج شعيرة عرفت منذ زمن بعيد (٢) .

المعروف ان الحج لا يتم الا بثلاثة ، الى اله معين ، وفي زمين
معين ، الى مكان معين • والعرب كانوا يحجون لاله الكعبة ، وفي موسم الحج

(١) السيرة م ١ ، ص ٧٧ ، الاضنام ، ص ٦

(٢) راجع الفصل الاول مادة اساف •

- وإلى مكة (٩١ / ١) • وموسم الحج هو شهر ذي الحجة من الأشهر الحرم •
- فإذا تمت هذه الشعيرة في غير موسمها ، انتفت عنها صفة الحج وأصبحت عمرة •
- وقد ورد ذكر العديد من العرب الذين كانوا يقدمون مكة معتمرين ، لا حاجين •
- منهم رجل من أزد شنوءه يقال له ضماد (٢٤١ / ٤) وثمالة بن أثال (٥٥٠ / ٥)
- وغيرهما (٤٣٧ / ٣) •

والحج كما ذكرنا كان يتم لمكان معين هو الكعبة ، لذلك عندما حاول أبرهة الأشمر تنفي أهل اليمن عن الحج ، بنى لهم بيتا في اليمن بناء من الرخام الملون وحلاه بالذهب والفضة وحفنه بالجواهر و ٠٠٠ الخ (٩١ / ١) ^(٣) كي يرغبهم فيه فينقطعوا عن حج بيت الله في مكة • والكعبة بيت عظمته العـرب لأنه بيت الله بناء إبراهيم وابنه إسماعيل ^(٤) • وقد حافظ القرشيون على هذا البيت محافظتهم على شيء يخصصهم دون غيرهم ، وليس في هذا غرابة ، فـهـم اعتقدوا أنهم جيران الله وأهل بيته (٧٨ / ١) ، وبلغ من اهتمامهم بالبيت أنهم اجتمعوا وتشاؤروا فيما بينهم حين رأوا السيل يدخله حتى انصدع وخافوا

(٣) السيرة م ١ ، ص ٤٣

(٤) السيرة م ١ ، ص ٤٨ •

ان ينهدم ، فقالوا : " لا تدخلوا في بنائها من كسبكم الا طيبا ، لم تقطعوا فيه رحما ، ولم تظلموا فيه احدا " (١٤٥ / ١) . وذلك لقدسية الكعبة ومكانتها في نفوسهم . ولو عدنا الى قصة اساف ونائلة ^(٥) ، وجدنا انها تقول بان اسافا ونائلة وفدا حاجين ، ويتضمن القول ابعادا للتهمه عن قرش وبقية الحمس ، وتأكيذا لقدسيتهما عندهم ومكانتها في نفوسهم .

وكان القرشيون يعتبرون انفسهم المسؤولين عن حفظ الكعبة ورعايتها دون غيرهم من العرب ، اذ عندما وضع النبي الركن واحتاج الى حجر يشده به تقدم منه نجدي ليناوله حجرا ، فما كان من العباس بن عبد المطلب الا ان نحاه ، وهذا اغضب النجدي ، عندها قال له النبي : " انه ليس ييني معنا في البيت الا منا " (١٤٦ / ١) وفي هذا دلالة على ان قرشا تصرفات وكأنها تملك البيت دون سائر العرب وفي ذلك اثبات لوجودها وتركيز لسلطوتها وتذكير بقوة شكيتهما . فأنها صاحبة رحلي الشتاء والصيف ، وهي بحاجة دوما الى تذكير سائر العرب بانها مرهوبة الجانب وذات مكانة خاصة . ويمكننا ان نستشهد بما اورده ابن حبيب على لسان القرشيين فقد قالوا : " نحن بنو

(٥) انظر الفصل الاول ، مادة اساف .

ابراهيم واهل الحرمة فليس لاحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا ،
فلا تعظموا شيئا من الحل كما تعظمون الحرم فانكم ان فعلتم ذلك استخفت
العرب بحرمتمكم " (٦) . وان استخفت العرب بحرمة قريش ، استخفت بمقامها
بين القبائل ، مما يؤثر على تجارتها وعلى عزتها . وقد جعلت قريش هذا
المركز الديني حقا موروثا بالولادة (٧) (٧٢ / ١) .

وبلغ من استغلال قريش لهذا المركز انها تركت اناسا من العرب يدخلون
الكعبة وحرمت اناسا آخرين ، وفق هواها ، ذكرت عائشة ان النبي ، صلعم ، سألها ،
" اتدريين لم كان قومك رفعوا بابها " ، وكان للكعبة باب واحد ، فقالت : " لا ادري " ،
فقال : " تعززا الا يدخلها الا من ارادوا " ، وكان الرجل اذا كرهوا ان يدخل
يدعونه حتى اذا كاد ان يدخل دفعوه حتى يسقط (١٤٧ / ١) ، وهذا ما
يؤكده سعيد بن عمر فقد روى عن أبيه انه قال : " رأيت قريشا يفتحون البيت
في الجاهلية يوم الاثنين ويوم الخميس ، فكان حجابهم يجلسون على بابهم ، فيرقى

(٦) المنق ، ص ١٤٣

(٧) المنق ، ص ١٤٤

الرجل ، فاذا كانوا لا يريدون دخوله دفع فطرح فربما عطب * (١٤٧/١) .
وكان الداخل الى الكعبة لا يدخلها بهذا ، بل يضع نعله تحت الدج
(١٤٧/١) . ويؤيد ابن حبيب هذا القول ولكنه يبين ان الذين
كانوا يلتزمون بهذا الامر هم الحلة ، وهم ليسوا اهل مكة ، فيقول عنهم
انهم " لا يجعلون بينهم وبين الكعبة حذاء يباشرونها باقدامهم " . ويقول
ايضا " انهم اذا دخلوا مكة تصدقوا بكل حذاء وكل ثوب لهم " (٨) ،
اي انهم كانوا يطوفون ايضا حفاة . في حين انه في كلامه عن الحمس
يقول انهم " لا يطوفون بالبيت الا في حذائهم وثيابهم ولا يمسون المسجد
باقدامهم تعظيما لبقعته " (٩) . فهل كان الدخول الى الكعبة دون نعل ،
تقليدا يسير عليه الحمس والحلة ، ام انه يسري على الحلة فقط هذا غير واضح
في كتاب الطبقات . ولكن الواضح ان القرشيين وضعوا سننا لانفسهم وآخر لسائر
العرب (٧٢/١) . ومن هذه السنن ما يتعلق بالطواف حول الكعبة ، فهم
اي الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة (٧٢/١) ، كانوا يطوفون بثيابهم ، في حين
ان الحلة ، وهم سائر العرب ، كانوا يطوفون عراة بعد عرفة (١٢/٣) ، اذا

(٨) المحبر ، ص ١٨١

(٩) المحبر ، ص ١٨٠

لم يجدوا من ثياب الحمس ما يرتدونه اما عارية واما باجارة ، ومن طاف بثيابه لم ينتفع بها هو ولا غيره (١٠) .

والكعبة كانت قبله العرب قبل الاسلام ، اليها كانوا يولون وجوههم ،
ان عندما نزلت آية الكريمة : " فوالوجهك شطر المسجد الحرام " (١١)
وترجته النبي الى الكعبة قيل : " ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها " .
(٣٦٧ / ٤) .

وكان يحيط بالبيت عدد كبير من الاصنام ، كما حوى عددا من الصور .
وقد اعتادت العرب ان تعلق فيه عهودها ومواثيقها ، وان تضخ فيه تقدماتها
وندورها وان تستقسم في داخله بالازلام ، ومم ذكر ذلك كل في موضعه .

وكان باب الكعبة مزينا بصفائح الذهب ، جعلها عبد المطلب (١٢)
(٨٥ / ١) وكان لبابها حلقة أخذ بها من اراد ان يتقرب الى الله بدعوة
خالصة (٥٠ / ١) واراد ان يلجأ الى الله مباشرة ودون وساطة الشفعاء .

(١٠) الحبير ، ص ١٨١ ، المنق ص ١٤٤ - ١٤٦ ، ابن حجر - باب الحج ،
السيرة م ٢ ، ص ٢٠٢ .

(١١) آية ١٤٤ / سورة البقرة .

(١٢) معجم البلدان ، مادة الكعبة .

من الاصنام • ومن العرب من تعلق باستار الكعبة داعيا ربه (١٨٩/١) او
مستجيرا به (١٤١/٢) •

ذلك هو البيت الذي عرفت العرب فضله على غيره من بيوت عبادتها
فعظمته — حتى انها ادخلته في بعض الاسماء ، فقليل عبد الكعبة (٣٦٢/٧) —
وحجته واعتمرت اليه (١٣) •

شعائر الحج :

• كان الحجاج يقدون في موسم الحج من كل بلد على ضواير كأنهم
القداح ، قد أزحفوا وتفلوا وقملوا وأرملوا • ، هكذا وصفهم هاشم بن عبد مناف
(٧٨/١) • وكان الحج بشعائره اياما اربعة ، يوم التروية ، وسبي كذلك
لان العرب كانت تستقي فيه بمكة ، وهو اليوم السابق لعرفة (١٤) ، ثم عرفته
(٧٨/١) وكانت صوفة ، وهم الغوث بن مر ، يدفعون بالناس من عرفته (١٥)

(١٣) الاصنام ، ص ٣٣ ، السيرة ، م ١ ، ص ٨٣

(١٤) اللسان مادة روى

(١٥) لمعرفة وقت الدفع انظر المحبر ص ٣١٩

(٦٨ / ١) الى ان استلم قصي حجابة البيت وأمر مكة . وبعد عرفه جمع وهو بالمزدلفة ثم منى ، وكانوا لا يرمون الجمار حتى يرمي رجل من صوفة ، كذلك كانوا لا ينفرون حتى تنفر صوفة ، فكانت تأخذ بجانب العقبة فتحبس الناس حتى يقولوا " اجيزى صوفة " ، فلم يجز احد حتى تنفر صوفة فينفر الناس (١٦) ، ثم استلم الامر قصي فصاروا يقولون : " أجز قصي " (٦٨ / ١ - ٦٩) وبعد ان يصدر الحجيج من منى يتفرق الناس الى بلادهم (٧٨ / ١) . وكانوا يطوفون بالبيت قبل وقوفهم بعرفة . وقد شرعت لهم قريش ومن معها من الحرس ان يطوفوا بثيابهم ما لم يذهبوا الى عرفة . فاذا ما رجعوا منها لم يطوفوا طواف الاغاضة بالبيت الا عراة او في ثوبي أحسي . ومن طاف بثوبيه لم يحل له ان يلبسهما (٧٢ / ١) ، ومن خلع ثيابه وضعها على خشبة في الكعبة (١٢ / ٣) . ثم حرم الاسلام طواف العراة ، فقد قرأ علي بن ابي طالب براءة على الناس يوم النحر فقال : " . . . لا يحج بعد اليوم مشرك ولا يطوف بالبيت عريان " (١٦٩ / ٢) .

وكان الحرس ، والتحصن اشياء احدثوها في دينهم تحسوا فيها أي شددوا على انفسهم ، لا يخرجون من الحرم اذا حجوا (١٧) ولا يسلوون السمن

(١٦) السيرة م ١ ، ص ١٢٠ ، والمنق ، ص ٣٠١ - ٣٠٩

(١٧) الحبير ، ص ١٧٩ - ١٨٠ ، والمنق ، ص ١٤٤ - ١٤٦

ولا ينسجون مظل الشعر (٧٢/١) .

وكما احدثت قرش بدعة الطواف عراة ، وأوقدت النار بالمزدلفة .
وكان الذي أحدثها قصي ، وذلك حتى يراها من دفع من عرفة . وكانت
توقد ليلة جمع (١٨) (٧٢/١) .

وكان الاتصال الجنسي محرما اثناء الحج وفي الكعبة وحماها ،
نقول هذا استنادا الى قصة اساف ونائلة التي ذكرت انهما وفدا حاجين ففجرا
في الكعبة فسخا حجرتين . ويبدو ان المصادر العربية لم تشر الى هذا التحريم
باعتباره امرا مفروغا منه ، لكن ريرتسون سميت وقف عنده (١٩) .

ولم يتطرق ابن سعد لكل مناسك الحج كالا حرام (٢٠) مثلا ، كما
انه لم يذكر تعظيمهم الحجر الاسود اثناء الحج ، وفي حين ان ابن حبيب
قال انهم كانوا يطوفون بالبيت اسبوعا ويمسحون على الحجر الاسود ، ويسمعون

(١٨) المحبر ، ص ٢٣٦

(١٩) انظر سميت ص ٤٨١ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥

(٢٠) انظر المنق ، ص ٣٢٧

بين الصفا والمروة • وقد اورد ايضا تلبيات القبائل لاصنامها اثناء الطواف
والسعي (٢١) • وكل ما ذكره ابن سعد عن الحج جاء مفرقا حسب ما
تطلبه سياق كتابه في سير اجداد النبي ، ولعل هذا يعود الى امرين ،
اولهما لتبيان مركز قريش بين العرب ، ووفادتها واكرامها للحجيج (٧٨ / ١) •
وثانيهما للتذكير بان الحج هو شعيرة شرعها الله لابراهيم ولمن اتى بعده
• (٧٢ / ١)

وفي الختام يمكن القول ان الحج شعيرة قديمة كانت العرب تؤديها
لله تعالى ، رب الكعبة • وهي ما تبقى من شريعة ابراهيم عليه
السلام • ولكن بعد العهد بابراهيم ، فتغلقت بمرور الزمن بمظاهـر
وثنية فاصبح العرب في طوافهم حول الكعبة يلبون للاصنام التي وضعوها ،
كل قبيلة لاصنامها التي تنسك له ، بدلا من التلبية لله رب البيت ، كما ان بعضهم
كان يستكمل مناسكه عند صنمه (٢٢) •

(٢١) الحبر ، ص ٣١١ - ٣١٥ •

(٢٢) الاصنام ، ص ١٤

الفصل الرابع

الوظائف الدينية

الكهانة :

١ -

وهي التكهّن بما سيحدث ، او معرفة ما حدث ، وهي وظيفة دينية تتعلق بالغيبيات ، وكانت معروفة عند العرب ، لذلك عندما نزل الوحي على النبي ، اعتقدت قريش بادی الامر انه ضرب من الكهانة ، فلم ينكروا ما كان يقول ، بل كان اذا ما مر عليهم في مجالسهم اشاروا اليه وقالوا : ان غلام بني عبد المطلب ليكلم من السماء (١٩١/١) . وقد اعتقدت العرب ان الكاهن على اتصال بالجن ، او له شيطان او يكلم من السماء ، حتى ان النبي ، عندما نزل الوحي عليه ، ولم يكن له به خبرة ، رجع وقال لخديجة : " اني ارى ضوءا واسمع صوتا ، ولقد خشيت ان اكون كاهنا " (١٩٥/١) . ويبدو ان الكاهن العذري اختار اسم عزى سلمة (٨٨/١) للدلالة على انه على اتصال بشيطانه . ويقول ابن حبيب ان العزى اسم شيطانة ^(١) وانه لا يكون احدهم كاهنا حتى يكون معه شيطان تابع له ^(٢) .

(١) المنق ، ص ١١٠

(٢) المحبر ، ص ٣٩٠

وكان التابع يتخذ صوراً مختلفة حين يظهر لصاحبه • من تلك الصور هيئة الطائر • فقد ذكر ان امرأة من اهل المدينة كان لها تابع جاء اليها في صورة طائر فحط على حائط الدار • (١٩٠/١) • ولم تقتصر الكهانة على الرجال • بل كان هنالك كهانات • منهم كهنة بني سعد بن هذيم • وكانت بمعان من اشراف الشام • واليها اتجه عبد المطلب وجماعته من قريش ليحكموها في امر طوي اسماعيل (٨٣/١ — ٨٤) • ومنهم ايضا الغيطلة كهنة بني سهم (٢٤/٤) • وكانوا يقطعون مسافات شاسعة • ويسيرون اياما وليالي ليصلوا الى كاهن او كهنة يحتكمون (٨٤/١) او يتنافرون (٨٨/٢٦/١) (٢٢٠/٤) • وهم راضون بما حكم الكاهن ولعن حكم • وهنا يجدر بنا ان نشير الى ما ذكره ابن حبيب من ان المتنافرين والمحتكمين كانوا يمتحنون قوة الكاهن الغيبية قبل ان يعرضوا عليه قضيتهم • ويكون هذا بأن يخبثوا له خبيثا ويسألوه عنه • فان عرفه تأكدوا منه وعرضوا عليه امرهم (٣) •

ولكن هنا سؤال يطرح نفسه : ما هي الصفات التي كان يتصف بها الكاهن • عدا عن اتصاله بتابعه ؟ والذي يثير هذا الامر هو ما أورده ابن

(٣) انظر المناقرات في المنق • ص ٩٤ — ١٢٠

سعد على لسان خديجة زوج الرسول ، فقد قالت لزوجها عندما أبدى مخاوفه من الكهانة : " ان الله لا يفعل بك ذلك يا ابن عبد الله ، انك تصدق الحديث وتؤدي الامانة وتصل الرحم " (١٩٥ / ١) . فهل كان الكاهن على عكس ذلك ؟ هذا سؤال يطرح نفسه ومن الصعب الاجابة عليه .

٢ - الحجابه والسدانة :

يعرف ابن منظور السادن بأنه خادم الكعبة وبيت الاصنام ، ويقول ان السدنة هم حجاب البيت وقوة الاصنام . ويسوق قول ابن بري بأن الحجابة تختلف عن السدانة ، في ان الحاجب يحجب واذنه لغيره ، والسادن يحجب واذنه لنفسه ^(٤) ومع ان السادن حسب تعريف ابن بري أعلى مقاما من الحاجب ، الا ان سدانة البيت كان يطلق عليها اسم الحجابة . وكان حاجبها أمره لنفسه ، ففي تعريف ابن منظور للسدنة قال : هم حجاب البيت ، مما يدل على ان التفريق بين اللفظين لم يكن صارما ، وكانتا تستعملان في معنى واحد احيانا . وحجاب

(٤) اللسان مادة سدن .

الكعبة كانت السلطة بأيديهم واذنهم لانفسهم ، ويتفح هذا من قول ابن سعد ،
فقد قال ان حجابة الكعبة كانت في يد حليل ، وهو صاحب امر مكة والحكم فيها .

وكانت حجابة البيت وراثية ، فعندما مات حليل حجب البيت ابنه
المحترش ، ابو غبشان ^(٥) (٦٧/١ - ٦٨) وقيل ان حليلا اوصى بها
لقصي ، زوج ابنته ، وقيل ، في رواية ثالثة ، انتزعها قصي لنفسه وجعلها
في قريش ، فقد رأى انهم اولى بالبيت واهل مكة من خزاعة وبني بكر لان قريشا
فرعة اسماعيل بن ابراهيم وصرح ولده (٦٨/١) .

والحجابة وظيفة دينية تمتع صاحبها بمركز عال وتشرفه . لذلك عندما
كبر قصي ورق ، وكان ابنه عبد الدار ، وهو اكبر اولاده ، ضعيفا ، واخوته قد
شرفوا عليه ، قال له قصي : " اما والله يا بني لالحقنك بالقوم وان كانوا شرفوا عليك ،
لا يدخل احد منهم الكعبة حتى تكون انت الذي تفتحها له ، ولا تعقد قريش .
" فأعطاه دار الندوة وحجابة البيت واللواء والسقاية والرفادة ، وخصه بذلك
ليلحقه بسائر اخوته (٧٣/١) وهكذا اصبحت مفاتيح الكعبة في يد بني عبد

(٥) يقول ابن حبيب ان الاسمين لرجلين مختلفين . راجع المنق ص ٣٥٠ ، هذا
وقد فصل ابن حبيب في امر حجابة الكعبة وانتقال مفاتيحها . راجع المنق ، ص ٣٤٤ -

الدار (٦) ، وكانوا يفتحون باب الكعبة يومي الاثنين والخميس من كل اسبوع
(١٤٧/١) كما كانوا لا يسمحون بدخولها الا من ارادوا (٧) . هكذا
كانت حجابة البيت ، وان كانت وظيفة دينية الا ان صاحبها كان يتمتع
بسلطة دينية .

ويبدو ان الحاجب قبل قصي كان يتقاضى أجرا ، فأبو غبشان ، كانت
العرب تجعل له جعلاً في كل موسم ، حتى اذا ما قصروا به في احد المواسم ،
ومنعوه بعض ما كانوا يعطونه ، غضب ، واشترى منه قصي البيت بزق خمر* (٦٨/١)
ويقول ابن حبيب انه اعطاه اثواباً وأبصرة (٨) ، فطابت نفسه . ويبدو من ثنايا
الرواية ، ان قصيا ، وكان صاحب مال وشهرة ، اشترى البيت ولم يشتر الجعل معه ،
فحجب البيت دون ان يتقاضى عليه أجرا .

وكما كانت حجابة البيت وراثية ، كذلك كانت سدانة بيوت الاصنام ،
فسدانة العزى كانت في بني شيان من بني سليم (١٤٦/٢) وقيل ان آخر
من قام عليها منهم كان دبية السلمي (٩) . وسدانة اللات كانت

(٦) المنق ص ٣٥١

(٧) راجع الفصل الثالث ما ذكر عن الكعبة .

(٨) المنق ص ٣٥١

(٩) الاصنام ، ص ٢٢

في بني معتب من ثقيف (١٠) فقد جاء على لسان المغيرة بن شعبه ، وهو
من بني معتب ، انه قال : ونحن سدنة اللات (١١) (٢٨٥ / ٤) .

ولم يكثر ابن سعد لسدانة بقية الاصنام ، حتى انه ذكر بعض السدنة
وأهمل أسماء الاصنام التي كانوا قومتها . من ذلك ما أورده عن راشد بن
عبد ربه ، فقد قال انه كان يسدن صنما لبني سليم ولم يذكر اسم ذلك الصنم (١٢)
(٣٠٨ / ١) .

وفي خبر عمرو بن مرة الجهني ، ذكر انه كان سادنا لصنم كان هو
وقومه يعظمونه (٣٣٣ / ١) . ولكن ابن حبيب وياقوت وابن الكلبي وابن هشام
قد ذكروا فرع القبيلة التي كانت السدانة فيها ، وعندما تكلموا عن كل صنم على حدة .

ولا نعلم هنا ان كان للسادن جعل متعارف عليه بين العرب .
ولعله كان يأخذ نصيبا من النذور التي كانت تقدم للاصنام ، او كان له الحق في
التصرف في كل ما يقدم لها ، فقد ورد ان بعض خزانات الاصنام وجدت خاوية
عندما ارسل النبي سرايا لهدم الاصنام . منها خزانة سواع (١٤٦ / ٢) وخزانة
مناة (١٤٧ / ٢) .

(١٠) السيرة م ١ ص ٨٣ ، م ٢ ص ٤٣٦ ، الاصنام ص ١٦ - ١٧ ، ٢٢
(١١) يقول ابن حبيب ان سدنته كانوا آل ابي العاص من بني يسار من ثقيف ، انظر
الحبير ص ٣١٥ .
(١٢) ولعله كان صنما للعزى ١٤٦ / ٢ ، السيرة م ١ ص ٨٣ .

٣ - وظائف خاصة بالحج :

وهي الرقادة والسقاية والدفع من عرفة والافاضة من منى .

١ - الرقادة والسقاية :

وهما اطعام الحج وسقايتهم ، وكانت هاتان الوظيفتان ، كحجاجة البيت ، في بني عبد الدار . والحجاجة والرقادة والسقاية جميعها مظهر من مظاهر الشرف لذلك خص قصي ابنه عبد الدار بها ليشرف ويبلغ مبلغ اخوته ويلحق بهم (٧٣ / ١) . وكانت قريش جميعها تسهم في رقادة الحج ، فقد كانوا يخرجون كل عام من اموالهم خرجا ، يدفعونه الى من كانت الرقادة في يده ، فيصنع طعاما للناس ايام مكة ومنى (٧٣ / ١) فكانوا يطعمونهم بداء باليوم الذي يسبق التروية ، ثم ايام التروية وعرفة وجمع ومنى (٧٨ / ١) آخر يوم في ~~الحج~~ الحج . وكانوا يحضرون لهم الماء في حياض من ادم يستسقى ماؤها من آبار مكة ، وتوضع في مكان زمزم (٧٨ / ١) ، الى ان حفر عبد المطلب زمزم التي تسقي الحج الاعظم ، فترك حياض الادم . وكان عبد المطلب يحمل الماء من البئر ليسقي الحجاج وهم على عرفة (٨٣ / ١) .

وقد التزم القرشيون بالرقادة والسقاية لانهم اعتقدوا انهم جيران الله واهل بيته ، وهو ما كان يقوله هاشم بن عبد مناف لقريش في موسم الحج حين كان يخاطبهم : " يا معشر قريش ، انكم جيران الله واهل بيته ، وانه ياتيكم

في هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته ، فهم ضيف الله ، واحق الضيف بالكرامة ضيفه . وقد خصكم الله بذلك واكمكم به ، وحفظ منكم افضل ما حفظ جار من جاره ، فأكرموا ضيفه وزوره " (٧٨ / ١) . وفي الحقيقة ، ان ما حث هاشم قريشاً عليه ، كان حفظ الجوار وقرى الضيف ، وهما رابطتان اجتماعيتان تعارفت العرب على انهما من الفضائل . فقريش جيران الله ، وهو الذي حفظ لهم افضل ما حفظ جار من جاره ، لذلك توجب عليهم ان يفوا بالتزاماتهم وان يكرموا ضيوفه وزوره ، وان يعتبروهم ضيوفا عليهم ، فيقروهم كما يجب ان يقري الرجل ضيفه (١٣) ، خصوصا وان هؤلاء الضيوف كانوا يتحملون مشاق السفر الى مكة ، فيصلون شعنا غربا قد أزعفوا وتغلوا وقملوا وأرملوا (٧٨ / ١) .

وحتى تتم واجبات الضيافة أوقد قصي النار في المزدلفة ليلة جمع لهداية الحجاج (٧٢ / ١) ، كما كانت نار القرى توقد لهداية الضيفان وهي مظهر من مظاهر الكرم وحسن الضيافة عند الجاهليين . وقد حفظوا للاشهر الحرم حرمتها ، لما في ذلك من حماية للحجاج ، وسلامة الضيف كانت من التزامات المضيف .

ومع ان السقاية والرفادة وظيفتان دينيتان تختصان بالحج فانهما ترميان الى هدف اقتصادي وهو الهدف الذي كانت فضيلتا القرى وحفظ الجوار ترميان اليه ،

(١٣) وكانت العرب تتوقع هذه الضيافة في حجها وعمرتها ، راجع المنق ، ص ٤٢٥

التعبير

وهو ، ونستعير/ من الرسالة التي ارسلها يزيد بن عبد المدان الى قيس بن عاصم ،
" ان المعروف قروض ، ومع اليم الغد " (١٤) اي انه في حماية الحجيج ورفادتهم
وسقايهم حماية لمصالح قريش وتجارتهما في رحلتي الشتاء والصيف ، عدا عن الرفعة
والشرف اللذين يرافقان الاطعام والسقاية .

• - الدفع من عرفة ورمي الجمار والافاضة :

وهذه وظائف اخرى تختص بالحج ، وكانت في يد صوفة ، والغوث بمن
مر . فهي التي كانت تدفع بالحجيج من عرفة ، وهي التي كانت تبدأ برمسي
الجمار فلا يرمي احد حتى يرمي رجل من صوفة ، وكذلك كانت تأخذ بجانب العقبة ،
فتحبس الناس وهم يقولون : أجزى صوفة . فاذا ما نفرت ومضت خلي سبيل الناس (١٥)
(٦٨ / ١) وبقي الامر في يدها حتى اخذ قصي بمقاليد الامور ، فأتى العقبة بمن
معه من قريش وكنانة وقضاة ، وقالوا : " نحن اولى بهذا منكم " ، فاقتتلوا حتى انهزم
صوفة ، وقال رزاح ، اخو قصي لأمه ، اجز قصي ، فاجاز الناس . ولم تزل الافاضة
في ولد قصي حتى عهد ابن سعد ، (٦٨ / ١ - ٦٩) . ويختلف هنا ما أورده ابن
اسحاق عن ما أورده ابن سعد . فقد قال صاحب السيرة ان الافاضة كانت فسي

(١٤) ابو الفرج الاصفهاني ، الاعاني ، دار الثقافة - مجلد ١٢ ، ص ١٦

(١٥) السيرة م ١ ، ص ١٢٠

عدوان (١٦) بعد انقراض صوفة ، وان قصي أقرهم على ذلك (١٧) . أما فيما يتعلق بالدفع من عرفة فلم يتعرض لذلك ابن سعد ، ولم يشر لمن آل امر هذه الوظيفة ، والمعلم ان الحرس كانوا لا يخرجون من الحرم اذا حجوا (٧٢ / ١) ، ولكن ابن اسحاق يقول ان آل صفوان من بني سعد قد ورثوا ذلك عن صوفة بالتحديد (١٨) وكان آخرهم الذي قام عليه الاسلام كرب بن صفوان (١٩) . وان قصيا أقرهم على ما كانوا عليه (٢٠) .

وكانت وظائف الحج هذه ترفع من شأن اصحابها لذلك اقتتل العرب بسببها (٢١) (٦٨ / ١ - ٦٩) ولعل ذلك يعود الى ما تتصف به من قيادة للحجيج اثناء مناسك الحج .

(١٦) السيرة م ١ ، ص ١٢٢

(١٧) السيرة م ١ ، ص ١٢٤

(١٨) السيرة م ١ ، ص ١٢٠

(١٩) السيرة م ١ ، ص ١٢١

(٢٠) السيرة م ١ ، ص ١٢٤

(٢١) السيرة م ١ ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ، والمنق ص ٣٥٢

الفصل الخامس

الاديان الاخرى في الجزيرة قبل الاسلام

لا بد ، لاستيفاء ما اورد ابن سعد عن الدين والمعتقد في الجاهلية ، من ذكر ما ساقه عن النصارى واليهود والمجوس ، وان كان يسيرا ، ثم ما اورد عن الحنفاء . واليسير الذي ذكره ، دار في غالبته حول صفة النبي كما وردت في نسي التوراة والانجيل ، وعن مولده ومبعثه وهجرته ووفاته ، وحول بعض التقاليد الاجتماعية التي التزمت بها فئات دينية ، ونهى المسلمين عن تقليدها . هذا هو ما تطلبه سياق الطبقات الكبرى ، وجاء في خدمة الغاية التي رس اليها مؤلف ابن سعد .

اليهودية :

- ١

وكانت منتشرة في بعض اجزاء من الجزيرة العربية كالمدينة وخيبر وفدك (١٥٩/١) واليمن (٤١٢/١) . وهي دين سماوى يدعو الى وحدانية الله . ويبدو ان احبارهم تشددوا في التوحيد ، حتى ان احدهم اعتبر المسلمين مشركين لانهم حلفوا بالكعبة . فقد جاء ان حبرا قال للنبي ، صلعم : " يا محمد نعم القيم انتم لولا انكم تشركون " . وعندما استوضحه الرسول قال : " يقول احدكم لا والكعبة " ثم قال : " يا محمد نعم القيم انتم لولا انكم تجعلون الله ندا " قال النبي : " وكيف ذلك ؟ " فاجاب الحبر : " يقول احدكم ما شاء الله وشئت " (١) .

(٣٠٩/٨) .

(١) اللسان مادة شياً

وكانوا يعتبرون جبريل عدوا لهم ، وهو ما قالت به عصابة منهم حين وفدوا على النبي . فقد سأله عن وليه من الملائكة وقالوا له : " حدثنا عن وليك عندها نجا معك او نفارقك " . قال : " وليي جبريل " قالوا : " لو كان وليك سواء من الملائكة لتابعناك ، وهذاك انه عدونا (٢) .

(١٢٤ / ١ - ١٢٥) فاجتج البعض منهم بعدائهم لجبريل حتى لا يتبعوا النبي ، في حين ان البعض الاخر لم يتبعه حسدا . فقد جاء على لسان عبد الله ابن سوريا ، وكان اعلم اليهود ، انه قال : " ان القيم ليعرفون ما اعرف ، وان صفتك ونعتك لميين في التوراة ، ولكنهم حسدوك " (١٦٤ / ١) .

وكانوا يعظمون السبت ويلتزمون الراحة فيه (١١٨ / ٣) ويمتنعون عن القتال (٣) . لان منهم قوما عدوا في السبت فمسخوا قردة وخنازير (٤) (٦٩ / ٢) . وقد ذكر اسامة ابن زيد ان النبي قال ان اليهود كانوا يحرمون الشحم ويأكلون أشانها (٢٤١ / ٢) . كذلك كانوا يمتنعون عن تغيير الشيب وقيل انه كان محرما عليهم . فقد ورد عن الزهري انه قال : مكتوب في التوراة ملعون من غيرها بالسواد يعني اللحية (٤٤١ / ١) . وقد حث النبي المسلمين على الصباغ حتى لا يتشبهوا

(٢) جاء في القرآن حول عداوة اليهود لجبريل : " قل من كان عدوا لجبريل ، فإنه نزل على قلبك بأذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين " ١٧٠ / سورة البقرة .

(٣) السيرة م ١ ، ص ٥١٨

(٤) اشار القرآن الى ذلك " ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا

قردة خاسئين " ٦٥ / سورة البقرة .

بهم (٤٣٩/١) • هذا وكانوا يجلبون انبياءهم والصالحين منهم الى درجة
انهم اتخذوا من قبورهم مساجد لهم ^(٥) (٢٨/٤) • وكانوا اذا مات احدهم
ساروا به الهويني وتهودوا به (١١/٧) •

وكان السحر من الامور التي مارسوها ، وقيل ان لبيد بن
الاعصم كان اعلمهم بالسحر وبالسهم ، وحاول ان يسحر النبي فكان الرسول يقول :
" سحرتني يهود بني زريق " (١١٧/٢ - ١٩٨) •

النصرانية :

وهي دين سماوي ثان كان له اتباعه في الجزيرة العربية
منهم من كان في دومة الجندل (٨٩/٢ - ١٦٦) (١٢٩/٣) ومنهم
من كان في نجران ، (٢٦٦/١ - ٢٨٨) وهي اكبر مراكزهم •

وقيل ان كتبهم السماوية بلغت اثنين وتسعين كتابا • فقد ذكر
عن وهب ابن منبه انه قال : " قرأت اثنين وتسعين كتابا ، كلها انزلت من السماء ،
اثنتان وسبعون منها في الكنائس وفي ايدي الناس ، وعشرون لا يعلمها الا قليل " .
(٥٤٣/٥) •

(٥) البخاري ، شرح الكرماني - كتاب الصلاة ٤٢٦ ، ابن حجر ، المغازي ، الجنائز

وقد ورد في هذه الكتب جميعها ، على حد قول وهب بن منبه :
" ان من أضاف الى نفسه شيئا من المشية فقد كفر " (٥٤٣ / ٥) . وإذا
كانت الكتب التي قرأها وهب تجمع بين الانجيل والتوراة ، يكون تفسير هذه
العبارة ^{قد} ورد على لسان الحبر الذي اتهم المسلمين بأنهم يجعلون لله ندا
بقول الواحد منهم : " ما شاء الله وشئت " (٣٠٩ / ٨) . اي ان من وضع
في نفسه شيئا من المشية يكون قد جعل نفسه لله ندا فكفر . وفي هذا تأكيد
على تسامي الخالق عن البشر وتنزيهه له ورفعته ، وهذا ما حرصت النصرانية على
تأكيدة في الكتب المنزلة .

والنصارى ، كاليهود ، لم تكن تستعمل الخضاب (٦) (٤٣٩ / ١)
(١٩١ / ٣) . كذلك كانوا يجعلون حول قبور انبيائهم وصالحهم أماكن
عبادة (٧) ، ويصورون فيها الصور (٢٤٠ / ٢) (٨) ، وقد نهى النبي
المسلمين عن ذلك حتى لا يتحول صاحب القبر الى شفع وتتحول الصورة الى وثن .
وكان منهم الاساقفة والاحبار ، وكان زعيم يختلف عن زي الرهبان فقد
كانوا يلبسون ثياب الحبرة ويرتدون اردية مكفوفة بالحرير . اما الرهبان ، فكانت
ثيابهم بسيطة وربما كانت خشنة (٩) (٣٥٧ / ١)

(٦) ابن حجر ، اللباس ، المغازي .

(٧) ابن حجر ، المغازي ، وفاة النبي ، الجنائز ، البخاري ، شرح الكرماني ، كتاب الصلاة

(٨) البخاري ، شرح الكرماني ، كتاب الصلاة .

(٩) المسيرة م ١ ، ص ٥٧٤ .

الجوس :

وكان منهم جماعة في البحرين (٢٦٣ / ١) ، ومن تقاليدهم انهم لا يأكلون الجبن (١٠٧ / ٧ - ١٠٨) ولا يمسون اللحم (٣٥٠ / ٣) ويعفون الشارب ويعفون اللحى (٤٤٩ / ١) . وكانت لهم نار يوقدونها ولا يتركونها تخبو ، وكان قاطن يخدمها ويغذيها حتى لا تنطفئ (١٠) (٧٥ / ٤) .

هذا هو ما ذكره ابن سعد عن اليهودية والنصرانية والمجوسية وهو

يسير .

الحنيفية :

ما الذي دعا الى ظهور هذه الفئة ؟ كانت الديانات في الجزيرة العربية ، كما اتضح من هذا البحث ، نصرانية في نجران ودومة الجندل ، يهودية في المدينة وخيبر وفدك ، مجوسية في البحرين ، وثنية ، وهي الغالبة ، في مكة والمدينة وسائر الجزيرة .

(١٠) السيرة م ١ ، ص ٢١٤

وتبدو الوثنية ، كما مر سابقا ، تشويها لدين قديم تميز بتوحيد الله فوق مستوى الاصنام اطلق عليه دين ابراهيم عليه السلام ^(١١) . وفي هذا الدين مشابه ما كان في اليهودية والنصرانية ، الا انه لاسباب لا يمكن القطع به — لم تكن اليهودية والنصرانية في شكلهما العام ، وتستهوئ نفوس بعض المتألمسين من العرب ، ولهذا كان هؤلاء يفتشون عن شيء آخر وعن دين يوافق النفسية — العربية — ان صح القول . وتأتي نبوءات الانجيل والتوراة لتسعف على توجيه ذلك الظلم النفسي ، حين تبشر بأن زمان نبي قد اطل (١٦٢/١ ، ٣٥٠) (٢١٥/٣) ، وتقول بأن اسمه احمد او محمد (١٠٤/١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٩) (٢١٥/٣) وتبين صفته وتذكر مبعثه ودار هجرته ^(١٢) (٢١٥/٣) ، فيسمي بعض العرب ابناهم محمدا طمعا في النبوة ^(١٣) (١٦٩/١) ويتساءل الرهبان في صومعاتهم ان كان قد خرج النبي المنتظر (٢١٥/٣) . الاسقف والراهب ينتظران ان يتحقق ما بشر به عيسى عليه السلام ، والحبر ينتظر ما جاء

(١١) يرجع انحراف العرب في دينهم ، كما اعتقد ، الى امرين مترابطين البعد الزمني وانعدام كتاب مقدس محفوظ . فمع طول العهد ، تقبل العرب معتقدات وشعائر ادخلوها في دينهم الى جانب ما بقي في نفوسهم من هذا الدين . ولم يكن لديهم كتاب يعرضون عليه هذه المعتقدات والشعائر ليردهم الى سواء السبيل . فكانت النتيجة الوثنية التي عرفوا قبل الاسلام .

(١٢) السيرة م ١ ، ص ٥١٦ - ٥١٧

(١٣) الحبر ، ص ١٣٠

في التوراة وفي نفسه توق أن يكون هذا النبي من بني اسرائيل (١٦٢/١) .
ولكن النصراني له انجيله ، واليهودي توراته بين يديه ، كلاهما كتاب سماوي ،
اذن ينتظر اليهود والنصارى وبوسعهم الانتظار ، فهم لا يشعرون بالضياح .
والوثنيون ، الذين يمارسون شعائهم التي ولدوا عليها والذين يرددون ما سمعوا
من آياتهم دون تبصر وامعان ، لا يقلقهم الانتظار ، فهم يسمعون بقرب خروج نبي ،
وينتظرون مع المنتظرين ، يساعدهم في ذلك اصحاب النقود الديني والديوي الذين
يستفيدون من الوضع القائم فيعملون على ابقاءه . (لذلك كانت قرش اشد العرب
عداوة للنبي) . ولا يطول الانتظار الا على من ينحرف عن الدين القويم ويشعر
بانحرافه ، يطول على الذي يولد على دين ابيه ، يمارس الشعائر الوثنية ثم يستفيق
على وثنيته . فتظهر فئة ترفض بعض ^{هذه} الشعائر وفئة ترفض كل تلك الشعائر . هؤلاء
هم المتألهون ، الذين يتعبدون لله ويعظمون امره (١٤) ، بعضهم ينسك لله
يقم بشعيرة مما عرف ويعرض عن اخرى ، يحلل ويحرم كما يوجهه عقله (١٥) ، ولا يفتش
عن بديل . وبعض آخر يرفض الشعيرة والصنم والمعتقد المنحرف ، ويبحث عن دين
يلبي حاجته ، ينظر حواله فيرى اليهودية والنصرانية فيتجه صوبهما للتعرف عليهما ،
فاما ان يرضى بواحدة منهما (١٦) (٧٢/٤ - ٧١) واما ان يعرض عن كليهما

(١٤) السيرة م ٢ ، ص ٣١٢

(١٥) المنق من ٥٣١ - ٥٣٢ ، المحبر ص ٢٣٧ - ٢٤١

(١٦) السيرة م ١ ، ص ٢٢٣

(١٦٢/١) ، هذا المرء مع صحبه يشكل جماعة يمكن ان نسميها الحنفاء . وسنتكلم عنهم وعلى الرغم من كونهم قلة ضئيلة العدد ، وذلك لان ابن سعد ذكرهم واسهب في الكلام عن بعضهم .

من هؤلاء المتألهين الحليس بن علقمة ، وهو الذي ارسلته قرش ليرى امر النبي وصحبه في الحديبية (١٧) (١٦/٢) . وعبد الله بن ابيسي وابن خالته ابو عامر الراهب (٥٤٠/٣) وعبد المطلب جد النبي (٨٥/١) . وهناك غيرهم ممن ترك/سنن الجاهلية (١٨) .

ومن المتألهين الحنفاء ابو ذر الغفاري الذي كان يقول :
 " لا اله الا الله " ، ولا يعبد الاصنام (٢٢٢/٤) ، وكان يصلي لله قبل أن يلتقى الرسول بثلاث سنين (٢٢٠/٤) (١٩) . ومنهم عمرو ابن عبسة السلمي وكان يرغب عن آلهة قومه (٢١٧/٤) ، وابو الهيثم بن التيهان وقد كره الاصنام وقال بالتوحيد ، وكان معه في ذلك اسعد بن زرار (٤٤٨/٣) .

(١٧) السيرة م ٢ ص ٣١٢

(١٨) انظر المنقذ ص ١٧٥ ، ١٧٦ ، ٢٨٥ ، المحبر ص ١٧١ ، ١٧٢ ، السيرة م ١

ص ٢٢٢ - ٢٣٢ - ٢٣٠ ، ٥١٠

(١٩) ابن حجر ، الجزء الثامن ص ١٧٣ ، الحاشية .

ومنهم ايضا زيد ابن عمرو بن نفيل (٢٠) (١٦٢ / ١) (٣٧٩ / ٣) - (٣٨١)
وابو قيس بن الاسلت (٣٨٤ / ٤) وسلمان الفارسي (٧٧ / ٤ - ٨١) .

وكان ابو فيز وعمر بن عتبة وابو الهيثم واسعد بن زرار

قد تركوا الاصنام وقالوا بوحداية الله ، ولكنهم لم يفتشوا عن دين بديل بل
اكتفوا ببعدهم عن شعائر الوثنية . اما زيد بن عمرو وابو قيس بن الاسلت ، فقد
الدين القائم واخذوا في البحث عن دين يلبي حاجتهما . فقد جاء على لسان زيد
انه قال : " شامت النصرانية واليهودية فكرتهما ... حتى اتيت راهبا فـ
صومعة . فذكرت له اغترابي عن قومي وكراحتي عبادة الاوثان واليهودية والنصرانية .
(١٦٢ / ١) . وفعل ابو قيس ما فعله زيد ، فانه سأل من يثرب من اليهود
عن الدين ، فدعوه الى اليهودية فكاد يقاربه ، ثم اى ذلك وخرج الى الشام
الى آل جفنة وسأل الرهبان والاحبار فدعوه الى دينهم فلم يردوه (٣٨٤ / ٤) .
وقد وجد الاثنان ضالتهما في دين ابراهيم (٢١) ، دين الحنيفية ، كما
سماء لهما الرهبان (١٦٢ / ١) (٣٨٤ / ٤) . وكل ما عرفناه عن هذا الدين
انه دين جدهم الذى كان حنيفيا ولم يكن يهوديا ولا نصرانيا (٢٢) (١٦٢ / ١)

(٢٠) الاصنام ص ٢١ - ٢٢ ، والمنق ص ٥٣١ - ٥٣٢ ، والمحبر ص ١٧١ - ١٧٢

(٢١) السيرة م ١ ، ص ٢٢٤ - ٢٣١ ، ٢٣٢ ، والمحبر ص ١٧١ .

(٢٢) ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا " آية ٦٧ / آل عمران

ولم يكن لديهما كتاب يرجعان اليه ، لذلك اجتهد كل منهما جهده في البعد عن شعائر الوثنية . فلم يشركا نصح الله الها آخر واعتزلا آلهة القوم واستقبلا الكعبة وصليا لربها ورفضوا ما ذبح لغير الله وعلى النصب (٣٧٩ / ٣) (٣٨٤ / ٤) .

ونذكر ان النبي قدم لزيد سفرة فيها لحم ، وكان ذلك قبل نزول الوحي ، فأبى ان يأكل منها وقال : " اني لا أكل مما تذبحون على انصابكم ولا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه " (٣٨٠ / ٣) . وذلك لانه عاب على قريش ذبائحهم وكان يقول : " الشاة خلقها الله وأنزل من السماء ماء وانبت لها الارض ثم يذبحونها على غير اسم الله ، انكارا لذلك واعظاما له ، لا أكل مما لم يذكر اسم الله عليه " (٣٨٠ / ٣) . وقد اوجد تلبية يؤكد فيها بعده عن الاشراك ، فكان يقول في عرفة " لبيك لا شريك لك ولا ندلك " ثم يدفع من عرفة ماشيا وهو يقول : " لبيك متعبدا لك مرقوقا " (٣٨٠ / ٣) . وكان ينتظر زوال الشمس قبل ان يتوجه الى ربه صليا حتى لا يصلي مع القوم المشركين ، وكان يحيي المؤذنة فيأخذها ويكفي اباها مؤذنتها حتى تتزعزع (٣٨١ / ٣) . وكان زيد وابو قيس ، كلاهما ، يعتزان بكونهما يتبعان ملة ابراهيم . فقال ابو قيس وكان يعرف في يثرب بالحنيف : " ليس على دين ابراهيم الا انا وزيد بن عمرو بن نفيل " (٣٨٤ / ٤)

اما رفيقه زيد ، فقد وقف مسندا ظهره الى الكعبة وقال : " يامعشر قريش ، ما منكم اليوم احد على دين ابراهيم غيري " (٣٨١ / ٣) .

اما سلمان الفارسي ، فقد كان مجوسيا ثم اعتنق النصرانية واخذ ينتقل
من اسقف لآخر حتى اذا حان اجل صاحب عمورية وكان عنده ، سأل : " الى
من توصيني؟ " فقال له : " اي بني ، والله ما اعلم انه اصبح في الارض احد
على مثل كناعليه ... ولكنه قد اظلك زمان نبي يبعث بدين ابراهيم الحنيفية ...
فان استطعت ان تخلص اليه فاخلص وان به آيات لا تخفى " (٧٧ / ٤) .
وجاء على لسانه انه سأل عن هذا الدين رجلا يخرج بين غيشتين كل سنة
ليلة يداوى اسقام الناس بالدعاء لهم ، فاجابه كما اجاب الراهب زيد بن عمرو :
" انك تسأل عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم ، وقد اظلك نبي يخرج من عند
هذا البيت يأتي بهذا الدين الذي تسأل عنه فالحق به " وكان هذا الرجل
كما ورد على لسان النبي عيسى بن مريم ان صدق سلمان في روايته ^(٢٣) (٨٠ / ٤ -
٨١) . ولكن سلمان اختلف عن صاحبيه في انه لم يقل بانه على دين ابراهيم
وبقي ينتظر خروج الرسول ، فلما تأكد انه النبي أسلم .

(٢٣) السيرة م ١ ص ٢٢٠ - ٢٢٢

المراجع

- ١- ابن النديم - الفهرست - المطبعة الرحمانية بمصر ، ١٣٤٨ هـ .
- ٢- ابن سعد - الطبقات الكبرى - دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ١٣٨٠ هـ ، ١٩٦٠ م .
- ٣- ابن هشام - السيرة النبوية - تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي ، الطبعة الثانية ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ١٩٥٥ .
- ٤- ابن حبيب البغدادي - المنق - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد الدكن ، الهند ، ١٩٦٤ .
- ٥- هشام بن محمد السائب الكلبي - الاصنام - تحقيق احمد زكي - مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٢٤ .
- ٦- ابن حجر - فتح الباري بشرح البخاري - مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٩ .
- ٧- ياقوت بن عبدالله الحموي - معجم البلدان - دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ١٩٦٨ .
- ٨- ابن منظور - لسان العرب - طبعة دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ، ١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م .

- ١- الدكتور ليمان - اسماء الاعلام في اللغات السامية - مجلة كلية الآداب ،
جامعة فؤاد الاول ، ديسمبر ١٩٤٨ .
- ١٠- ابن حبيب البغدادي - المحبر - رواية ابن سعيد الحسن السكـرى ،
منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر - بيروت .
- ١١- سنن ابي داود - حققه وعلق عليه محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة
السعادة ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٦٩هـ ، ١٩٥٠ م .
- ١٢- ابو الفرج الاصفهاني - الاغانى - دار الثقافة ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨١هـ ،
١٩٦٢ م .
- ١٣- البخاري بشرح الكرمانى الطبعة الثانية ، الطبعة البسيطة ، القاهرة ١٩٣٢
- ١٤- Smith, W. Robertson, Lectures on the Religion of
the Semites, Adam & Charles Black, London,
1894.
- ١٥- ~~Desmond Morris, The Naked Ape, Gorgi Books, 1969.~~

جدول بالأخبار
التي ذكر ابن سعد ان
ابن اسحاق وابن الكلبي من رواة

—

<u>المادة التي تتعلق ب</u>	<u>الطبقات</u> <u>الصفحة</u>	<u>الراوي</u>	<u>وردت في</u>
سدانة صنم جهينة	ج ١/ ص ٢٢٢	ابن الكلبي	
الاستسقاء	٩٠/١	ابن الكلبي	
رحمان اليمامة	١٦٥/١	ابن الكلبي	
هدم فراض لسعد العشيرة	٣٤٢/١	ابن الكلبي	
اولاد قصي واسماؤهم	٧٠/١	ابن الكلبي	
هبل ، صنم خزيمه	٦٩/١	ابن الكلبي	الاصنام ص ٢٨
قصي ودار الندوة	٧٠/١	ابن الكلبي	
التسمية بمحمد طمعا بالنبوة	١٦٩/١	ابن اسحاق	
بشرى بخروج النبي	٣٥٠/١	ابن الكلبي	
صفة النبي ونعته في التوراة			
وتعننت اليه	١٦٤/١	ابن اسحاق	السيرة م ١ ، ص ٥١٧

<u>المادة التي تتعلق بـ</u>	<u>الطبقات</u> <u>الصفحة</u>	<u>الراوي</u>	<u>وردت في</u>
الاشهر الحرم وقتل خبيب	٥٦ / ٢	ابن اسحاق	السيرة م ٢ ، ص ١٧٤
الحديث عن اتخاذ اليهود قبور اوليائهم مساجد	٢٤٠ / ٢	ابن اسحاق	
نحت القداح في هجرة زمزم	٧٣ / ٤	ابن اسحاق	السيرة م ١ ، ص ٦٤٧
فصل ابي لهب قبل دفنه	٧٤ / ٤	ابن اسحاق	
نار المجوس	٧٥ / ٤	ابن اسحاق	السيرة م ١ ، ص ٢١٤
الرجل الذي يخرج بين الغنيتين مرة في السنة ودين ابراهيم الحنيفي	٨٠ / ٤	ابن اسحاق	السيرة م ١ ، ص ٢٢١-٢٢٢
حرق ذي الكفسين	٢٤٠ / ٤	ابن اسحاق	